



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام

بقلم :

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البائية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دعوة الحق

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام

بقلم :

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية الببانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

السنة الثالثة عشرة

صفر ١٤١٤ هـ - العدد ١٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا العمل وعنوانه : «تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام» عماده دراستان اثنتان عملتا من أجل الندوة العالمية للقرآن الكريم المنعقدة في كوالالمبور عاصمة ماليزيا، استجابة لدعوة كريمة من حكومة ماليزيا، توجت بالموافقة الكريمة من المقام السامي . فبالإضافة إلى دعوتي للاشتراك حكماً في المسابقتين الدوليتين لتلاوة القرآن الكريم لعامي ١٩٩٢ و ١٩٩٣م فقد تقرّر بشأن الندوة العالمية المنعقدة في ٢٣ ، ٢٤ شعبان عام ١٤١٢ هـ الموافق ٢٦ ، ٢٧ فبراير ١٩٩٢م توجيه الدعوة إلى ثلاثة من الأساتذة من ثلاث دول صديقة هي أندونيسيا ومصر والمملكة العربية السعودية لكتابة البحوث وتقديمها في الندوة المذكورة . وكان العنوان الذي اقترح عليّ لكتابة البحث فيه وإلقائه في الندوة ممثلاً للمملكة العربية السعودية هو : «العمل على إعادة المجد الإسلامي الذي جاء به الإسلام» كما تقرّر بشأن الندوة العالمية المنعقدة في ٢٧ و ٢٨ شعبان عام ١٤١٣ هـ الموافق ١٨ و ١٩ فبراير عام ١٩٩٣م توجيه الدعوة إلى أربعة من الأساتذة من أندونيسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والمملكة العربية السعودية لكتابة البحوث وتقديمها في الندوة المذكورة . وكان العنوان الذي اقترح عليّ للكتابة فيه ذا علاقة

بالعلم وهو: «مبدأ التقدم في نظر القرآن» .

ولما كان العلم يسبق العمل وكانت الدراسات متكاملتين فقد تقرّر جمعهما تحت عنوان «تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام» توخياً للفائدة ونزولاً على الرغبة الكريمة للقائمين على شؤون سلسلة كتاب دعوة الحق التي تصدرها شهرياً رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الجمع بين العاملين معاً، شاكرين لهم السهر على خدمة الإسلام والمسلمين عن طريق نشر دعوة الحق وكلمة الصدق، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجزل لهم المثوبة إنه على كل شيء قدير.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله إنه جلّ وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البينانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكة المكرمة

يوم الثلاثاء ١١/٥/١٤١٤ هـ
الموافق ٢٦/١٠/١٩٩٣ م

تمهيد

بين يدي الحديث في مبدأ التقدم في نظر القرآن الكريم والنجاح والصلاح أي العلم، وبين يدي الحديث عن مقومات مجد الإسلام من زاوية العمل، أود أن أشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور الأساسية.

أولاً : إن الحياتين، الأولى والآخرة، متلازمتان وغير منفصلتين في يقين المؤمن المسلم لله رب العالمين. إن المسلم موقن بما قرره الدين الخفيف بأن الحياة الأولى هي حياة العمل والكدح والحراث، وبأن الحياة الآخرة هي حياة الجزاء وجني الثمار، وإنما يكسبون الجزاء من جنس العمل، وإنما تكون الثمار من جنس البذور، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه.

ثانياً : هنالك شرطان يجب توافرهما في العمل الذي يتقبله الله تعالى بفضله، الشرط الأول أن يكون العمل صالحاً بمقياس الإسلام صواباً كما بينته سنة المصطفى ﷺ، فهنالك الاتباع لا الابتداع. والشرط الآخر أن يكون العمل خالصاً لله تعالى، يراد به وجهه الكريم جل وعلا، فلا مكان للرياء والسمعة وحسن الأحدوثة^(١) عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، متفق على صحته، رواه إماما المحدثين البخاري ومسلم في كتابيهما اللذين هما أصح الكتب

(١) انظر مثلاً الأمر المعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ٢٧ تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٩٧٦-١٣٩٦ هـ.

المصنفة^(١) وعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال :
 سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية^(٢) ويقاتل
 رياءً أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة
 الله هي العليا فهو في سبيل الله، متفق عليه^(٣) وعن أبي عبدالله جابر بن
 عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال :
 إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم
 المرض ، وفي رواية : إلا شركوكم في الأجر، رواه مسلم، ورواه البخاري
 عن أنس رضي الله عنه قال : رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال :
 إن أقواماً خلفنا^(٤) بالمدينة ما سلكنا شعباً^(٥) ولا وادياً إلا وهم معنا،
 حبسهم العذر^(٦) وجاء عن المشركين قوله عز من قائل في سورة الفرقان^(٧)
 ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ والهباء : دقاق
 التراب ومانبست في الهواء فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة^(٨)
 وإذا كان الهباء المنتظم لقيمة له فكيف وقد عبث به الهواء؟ لاشك أنه
 أقل قيمة، وإذا كان هذا هو مصير أعمال المشركين الصالحة فكيف
 بأعمالهم غير الصالحة!^(٩) إن السبب وراء ذلك الخسران المبين إشراكهم
 مع الله تعالى وارتكابهم الذنب الذي لا يغفره الله تعالى فأعمالهم ليست

-
- (١) رياض الصالحين للنووي ٤ و ٥ باب الإخلاص وإحضار النية، وثمة الحديث بتمامه، وانظر
 المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١/ ٢٨٥ حديث رقم ٣٠٠.
 (٢) حمية، بتشديد الياء التحتية : أي أنفة وغيرة محامية عن عشيرته.
 (٣) رياض الصالحين ٧، وانظر صحيح البخاري ١/ ٤٣.
 (٤) خلفنا بسكون اللام أي وراءنا، أو بتشديد اللام من التخليف.
 (٥) الشعب بكسر الشين المعجمة : الطريق في الجبل.
 (٦) رياض الصالحين ٥، ٦. (٧) الآية (٢٣).
 (٨) مفردات الراغب الأصفهاني : «هباء» ٥٣٦.
 (٩) درسنا الآية الكريمة في كتابنا تأملات في سورة الفرقان ٨٣ القاهرة ١٩٧٧ م. وص ١١١ مكة
 المكرمة ١٤١٤ هـ.

خالصة لله تعالى .

إن اختلال الشرطين معاً أو أحدهما مبطل للأعمال محبط لثوابها .

ثالثاً : مفهوم العبادة في الإسلام واسع إلى أبعد درجات الاتساع فكل عمل صالح يقوم به الإنسان وهو يريد به وجه ربه الأعلى يعتبر عبادة، بما في ذلك لقمة الطعام التي يضعها الزوج في فم زوجته . جاء في الحديث المتفق عليه^(١) أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة حينما مرض مرضاً شديداً عام حجة الوداع وجاءه النبي ﷺ يعوده وكان سعد ذا مالٍ ولا يرثه سوى ابنته فأراد أن يتصدق بنصف ماله فقال رسول الله ﷺ لا، وأراد أن يتصدق بالثلث فقال رسول الله ﷺ : «الثلث والثلث كثير أو كبير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة^(٢) يتكففون^(٣) الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في^(٤) امرأتك^(٥)» .

وهكذا لا فرق في الإسلام بين الأعمال التي تسمى دينية وبين الأعمال التي تسمى دنيوية، إن المقياس واحد في حقها، وإن شرطي الصلاح والإخلاص لله تعالى ضروريان لقبول الأعمال واعتبارها عبادة لله تعالى بمعنى العبادة الواسع في الإسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . رواه مسلم^(٦) .

(١) رياض الصالحين ٦ ، ٧ .

(٢) عالة : فقراء .

(٣) يتكففون الناس : يمدون أكفهم إليهم يستعطونهم .

(٤) في في امرأتك : في فم امرأتك

(٥) رياض الصالحين ٦ ، ٧ .

(٦) رياض الصالحين : ٥٧٥ .

وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم ! وقرأت القرآن ليقال قاريء ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يتفق فيها ألا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : جواد ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» . (رواه مسلم) ^(١) .

رابعاً : الإسلام علم وعمل ، وفي الإسلام يسبق العلم العمل ، جاء في سورة محمد ﷺ ^(٢) قول الحق جل وعلا : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات . والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ وهذا الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه يجعل هذه الآية الكريمة من سورة محمد ﷺ منطلق حديثه عن العلم قبل العمل ، يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة ^(٣) : «باب : العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله ، فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة . وقال جل ذكره : ﴿إنما يخشى الله من

(١) رياض الصالحين : ٥٧٦ .

(٢) الآية : (١٩) .

(٣) صحيح البخاري : ٢٦/١ .

عباده العلماء ﴿ وقال ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ وقال ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وقال النبي ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

ولما كان الجانب من الدراسة المتعلق بالعمل ذا شقين اثنين ، يتعلق أحدهما بالمجد الإسلامي ، ويتعلق آخرهما بالعمل على إعادة ذلك المجد بإذن الله تعالى فقد تألفت الدراسة من ثلاثة أقسام :

القسم الأول: مقومات النجاة والفلاح .

وهذه المقومات مستمدة من الآيات الخمس الأول من سورة البقرة وهي :

- ١ - الاهتداء بنور القرآن الكريم .
- ٢ - الإيمان بالغيب .
- ٣ - إقام الصلاة .
- ٤ - الإنفاق مما رزق الله تعالى عباده .
- ٥ - الإيمان بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة .
- ٦ - الإيقان بالآخرة .

القسم الثاني : المجد الإسلامي .

ويتألف من العناصر التالية :

- ١ - أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام .
- ٢ - جهاد في سبيل الله تعالى .
- ٣ - أسوة حسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى .
- ٤ - أسوة حسنة في مجال العلم .

القسم الثالث : العمل على إعادة المجد الإسلامي .

ويتألف من العناصر التالية :

- ١ - عقيدة واحدة .
- ٢ - أمة واحدة .
- ٣ - كتابة واحدة ولغة علمية واحدة .
- ٤ - مكان واحد .
- ٥ - زيادة مطردة في عدد السكان .
- ٦ - تكامل في المواد الأولية .

القسم الأول
مقومات النّجاة والفلاح

تبيّن مما سبق أن الإسلام دين ودنيا، آخرة وأولى، علم وعمل، كما تبين أن العلم في الإسلام يسبق القول والعمل، وأن الوحي هو المصدر الأول للعلم في الإسلام قرآناً مجيداً وسنةً مطهرةً مبيّنةً للقرآن الكريم. وحينما نتأمل أي الذكر الحكيم التي تشير في حيّز واحد إلى مقومات التقدم والنجاح والفلاح بأكثر من سواها، من الجائز أن تكون الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿الم﴾. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف، فالتقوى في المعنويات بمنزلة الوقاية في المحسوسات، فهي تحفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور. ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتّع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه^(١) وقد روى الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس، ثم قال الترمذي: حسن غريب^(٢)، وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمّرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى^(٣).

إن القرآن الكريم يريد من جميع الناس ان يصلوا إلى مرتبة التقوى

(١) انظر مفردات الراغب الأصفهاني: «وقى» ٥٣٠ و ٥٣١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٠/١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٠/١.

الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١) وإنما يتحقق ذلك عن طريق تحقيق مجموعة من النعوت التي يتصف بها المتقون المطبقون لتعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين . إن حظ هؤلاء المتقين بنص القرآن الكريم هو التقدم والفلاح في الأولى والآخرة . وهذه هي الصفات أو عناصر النجاح والفلاح .



(١) صحيح البخاري ١/ ٢٠ ومسند الإمام أحمد ١/ ٣١٥ حديث رقم ٣٧٤ .

[١] الإِهْتِدَاءُ بِنُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

أشارت الآية الكريمة الثانية إلى نوع من الهداية، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذا النوع من الهداية هو هداية الدلالة والإرشاد، وهو عمل المرسلين والنبیین والدعاة إلى الله تعالى . جاء في سورة الشورى^(١) خطاباً للمصطفى ﷺ قوله عز من قائل : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ولا يستطيع المرسلون والنبیون فضلاً عن سواهم تجاوز هذا المستوى من هداية الدلالة والإرشاد، وهذا النوع من الهداية عمل القرآن الكريم .

وأشارت الآية الكريمة الخامسة إلى نوع آخر من الهداية قال تعالى : ﴿أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِحُونَ﴾ وهذا النوع هو هداية التوفيق والسداد . والله تعالى هو وحده لاشريك له الذي يملك هذا النوع من الهداية، قال تعالى^(٢) : ﴿فَمَن يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يَرُدْ أَن يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ . كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال تعالى^(٣) : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ وقال تعالى^(٤) : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) الآيات ٥٢، ٥٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

(٣) سورة محمد ﷺ : آية ١٧ .

(٤) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

فلنتحول إلى الآية الكريمة الثانية التي نتحدث عن هدى الدلالة والإرشاد . قال تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ .

القرآن الكريم كتاب هداية أولاً وآخرأً ، فلنتدبر بعض آي الذكر الحكيم وبعض أحاديث المصطفى ﷺ في هذا المعنى ، جاء في سورة الإسراء^(١) قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ وجاء في سورة الزخرف^(٢) قوله تعالى : ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ وجاء خطاباً لأدم وحواء عليهما السلام في سورة طه^(٣) ، قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو . فإذا يأتيك منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ قال ابن عباس : فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة^(٤) وجاء في سورة النحل^(٥) قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين . رواه مسلم^(٦) .

(١) الآية ٩ .

(٢) الآيات ٤٣-٤٤ .

(٣) الآيات ١٢٣-١٢٦ .

(٤) تفسير القرطبي ٧ والرسالة التدمرية لابن تيمية ٧٥ .

(٥) الآية ٤٤ .

(٦) رياض الصالحين : ٣٨٧ .

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالْإِمْرَانُ تَحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهَا» (رواه مسلم) ^(١) وفي تسمية المصطفى ﷺ البقرة وآل عمران بالزُّهْرَاوَيْنِ أقوال للعلماء منها أن الزُّهْرَاوَيْنِ بمعنى الثَّيْتَيْنِ مأخوذة من الزَّهْر والزُّهْرَة وذلك إما لهدايتهما قارئهما بما يَزْهَرُ له من أنوارهما أي من معانيهما ، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة ^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران . متفق عليه ^(٣) ، التتعتع : التردد في الكلام عيًّا وصعوبة . وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة . ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن مُتَعَتِعاً عليه ، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبهه بالملائكة . والله أعلم ^(٤) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري ^(٥) وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ^(٦) إن عاهد عليها ^(٧) أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ، وإن لم يقرأ به نسيه ^(٨) .

(١) رياض الصالحين ٣٨٦ . (٢) انظر تفسير القرطبي ١٢٤٥ .
(٣) رياض الصالحين ٣٨٧ . (٤) تفسير القرطبي ٦ .
(٥) رياض الصالحين ٣٨٧ وتفسير القرطبي ٥ .
(٦) الإبل المعقلة أي المربوطة بالعقل جمع عقال وهو جبل يشد به البعير في وسط ذراعه .
(٧) عاهد عليها : حافظ عليها وتردد عليها وتفقدتها .
(٨) تفسير القرطبي ١٧ وانظر رياض الصالحين ٣٨٩ .

وإنّ لنا نحن الخلف في السلف الصالح أسوة حسنة في تلاوة القرآن الكريم وتدبره والعمل بمقتضاه، عن عثمان وابن مسعوداً بيّ أنّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١) وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها. وفي موطأ مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثلثي سنين يتعلمها^(٢)، وعن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً^(٣) وقال عبد الله بن مسعود: إنا يصعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، ويسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به^(٤).

إن الأمة الإسلامية ملزمة بالاستمسك بالقرآن الكريم وبسنة خير الأنام ﷺ المينة للقرآن الكريم وإلا حقّ فيها - لا سمح الله - شكوى المصطفى ﷺ إلى ربه جل وعلا يوم القيامة على نحو ما جاء في قوله عز من قائل في سورة الفرقان^(٥): ﴿وقال الرسول ياربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وها هو ذا المصطفى ﷺ يخاطب المسلمين في حجة الوداع بقوله عليه الصلاة والسلام لهم في عرفات^(٦): «وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه» وها

(١) تفسير القرطبي ٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ٣٤.

(٣) تفسير القرطبي ٣٤ والجزور بفتح الجيم ما يجزأ أي ينحر أو يذبح من النوق أو الغنم.

(٤) تفسير القرطبي ٣٤.

(٥) الآية: ٣٠.

(٦) السيرة النبوية ٤/ ٢٥١ طبع حلي تصوير بيروت ١٩٨٥ م.

هو ذا القرآن الكريم يحذّر المؤمنين أن تقسو قلوبهم على غرار أهل الكتاب الذين قست قلوبهم بسبب طول الأمد بينهم وبين نبيهم ، قال عز من قائل ^(١) : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .



(١) سورة الحديد ١٦ .

[٢] الإيمان بالغيب :

أولى صفات المتقين الذين يهتدون بنور القرآن الكريم الإيمان بالغيب، وهذا يعني أن صفة الإيمان بالغيب أولى درجات الفلاح والتقدم والنجاح في حق المسلمين لله رب العالمين بنص القرآن الكريم . والغيب : مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين ، يقال : غاب عني كذا ، قال تعالى : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب ويقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء . والغيب في قوله : يؤمنون بالغيب ، مالا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام ، ويدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد^(١) « قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله ، وكذا قال قتادة بن دعامه^(٢) ووبذلك يكون معنى يؤمنون : يصدّقون^(٣) وحينما يكون الإيمان بالغيب شاملاً أركان الإيمان الستة ومنها القضاء والقدر^(٤) يكون معنى ذلك أن الإيمان بالغيب صفة شاملة لكل ما غاب ، يتسم بها

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ، « غيب » ٣٦٦ و ٣٦٧ وانظر تفسير الطبري ٧٨ / ١ وتفسير القرطبي ١٤٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١ / ١ .

(٣) تفسير الطبري ٧٨ / ١ وتفسير القرطبي ١٤١ .

(٤) تفسير القرطبي ١٤٢ وتفسير الطبري ٧٨ / ١ .

المؤمن في ضوء تبين المصطفى ﷺ أركان الإيمان وهي ستة، ويقع الإيمان وسطاً بين الإسلام بأركانه الخمسة المعروفة وبين الإحسان ذي الركن الواحد بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١).

ولما كان الإيمان بالله تعالى ركناً مشتركاً بين الإسلام والإيمان والإحسان فهو أول أركان الإسلام والإيمان وهو كل الإحسان، ولما كان الإيمان بالله تعالى أول مقومات الإيمان بالغيب فإن كل ذلك دليل على مدى أهمية الإيمان بالغيب في حق كل من الفرد والجماعة والأمة، وبالتالي فلا مكان لدى الأمة المسلمة لله رب العالمين لما يسمى بالإلحاد ولكل حماقة من الحماقات التي تتناول على مقام الذات العلية بأدنى سوء. إن الأمة المسلمة لله رب العالمين تؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد رباً وإلهاً، فهو وحده لا شريك له مربي عباده بنعمه وآلائه، وهو وحده لا شريك له المعبود بحق، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه. تأتمر الأمة المسلمة بما أمرها الله تعالى به، وتنتهي عما نهاها الله تعالى عنه. وكما كان الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد أولى صفات المؤمنين وأهم صفات المتقين بدليل ابتداء نعوت المتقين في الآيات الكريمة به كان الإلحاد أهم الصفات السيئة التي ينبغي على الأمة المسلمة أن تتخلص منها بالحجة والبيان واليد واللسان، قال عز من قائل^(٢)، ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف^(٣) والمعنى اتركوا الذين

(١) انظر صحيح البخاري ٢٠/١ ومسند الإمام أحمد ٣١٥/١ حديث رقم ٣٧٤.

(٢) سورة الأعراف ١٨٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٩.

يميلون عن الحق في أسمائه حيث اشتقوا منها أسماء لأهنتهم كالكلمات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان^(١) ويقول ابن القيم^(٢): «وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها»

إن الأمة الإسلامية حينما تنسم بحقيقة الإيمان بالله تعالى وذلك بالاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، تكون بإذن الله تعالى محقة لأهم صفة ينبغي توافرها في خير أمة أخرجت للناس، وتكون بذلك منسجمة ومتناغمة داخلياً وخارجياً، وسيلة وغاية، حسناً ومعنى.

إن الإيمان بالله تعالى حينما يكون حقاً لن يكون بإذن الله تعالى شيء من الفصام النكد الذي تغص به الدنيا اليوم بين الدين والدنيا، الآخرة والأولى. إن مشركي العرب وقد تورطوا في ضرب من هذا الفصام النكد جاء عنهم في القرآن الكريم قول الحق جل وعلا^(٣): ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ إن الشيء ذاته يقال عن الجاهلية المعاصرة.



(١) الجلالين وتفسير ابن كثير ٢/٢٦٩ وتفسير القرطبي ٢٧٦٤ والتفسير القيم ٢٩.

(٢) التفسير القيم ٢٩.

(٣) سورة الأنعام ١٣٦.

[٣] إقام الصلاة :

الإسلام اعتقاد بالجَنان (القلب) ونطق باللسان ، وعمل بالأركان (الأعضاء والجوارح) وقد كان الإيمان بالغيب من نصيب الجنان في المقام الأول ويلحق بالإيمان بالغيب الإيمان بالقرآن الكريم وبسائر كتب الله تعالى ، والإيقان بالآخرة وهي من الغيب كذلك . ولما كان الإيمان أو الاعتقاد بالجنان أي بالقلب بحاجة إلى الدليل العملي كان ذلك الدليل في الصلاة ، أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي عبادة تتجه إلى الله تعالى مباشرة وتجمع بين النطق باللسان والعمل بالأركان . قال عز من قائل في صفات المتقين الذين يهتدون بالقرآن الكريم : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ والمعروف أن صيغة الفعل المضارع تفيد الاستمرار والتجدد والدوام ، فهؤلاء المتقون مداومون على أداء الصلاة على أكمل وجه . والصلاة هنا الصلوات الخمس . قاله مقاتل . أو الفرائض والنوافل قاله الجمهور^(١) وحينما يعبر عن الصلاة باسمها ، وعن الزكاة بما يشملها ويشمل الصدقات : ﴿ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ يصح أن نفهم من اشتغال القول : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ على الزكاة لأنها ركن إضافة إلى اشتغال القول على الصدقات أو النوافل أساساً . كما يصح في المقابل أن نفهم من القول : ﴿ويقيمون الصلاة﴾ النوافل إضافة إلى اشتغال القول على الصلاة المفروضة أساساً .

«عن ابن عباس إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها ، وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها

(١) البحر المحيط ١ / ٤٠ وانظر تفسير القرطبي ١٤٨ .

ووضوئها وركوعها وسجودها، وقال مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور بها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والشهد والصلاة على النبي ﷺ فهذا إقامتها^(١).

وما أكثر الآيات الكريمة والأحاديث النبوية في الصلاة. جاء في سورة العنكبوت^(٢) قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ. إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ. وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾. وبشأن صفات المؤمنين في سورة المؤمنون^(٣) تبدأ الصفات بصفة الخشوع في الصلاة، قال تعالى^(٤): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وتنتهي بصفة المحافظة على الصلاة، قال تعالى^(٥): ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أما سورة المعارج فإنها في حديثها عن المؤمنين المستثنين من جنس الإنسان الجزوع إذا مسّه الشرّ، المنوع إذا مسّه الخير، فإنّها تصفهم ابتداءً بأنهم المصلون المداومون على أداء الصلاة، قال تعالى^(٦): ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ كما تصفهم انتهاءً بأنهم المحافظون على صلاتهم، قال تعالى^(٧): ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وكان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَبَهُ أمر فَرَعَ إلى الصلاة^(٨). يقال: قام الشيء أي دام وثبت، من قولك قام الحق أي ظهر وثبت^(٩) وأقامه أي أدامه، وإلى هذا المعنى أشار عمر بقوله: من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيّع^(١٠).

(٢) الآية: ٤٥.
(٤) سورة المؤمنون ١، ٢.
(٦) سورة المعارج ٢٢، ٢٣.
(٨) تفسير القرطبي ١٤٨.
(١٠) تفسير القرطبي ١٤٣.

(١) تفسير ابن كثير ٤٢/١.
(٣) الآيات ٩-١.
(٥) سورة المؤمنون ٩.
(٧) سورة المعارج ٣٤.
(٩) تفسير القرطبي ١٤٣.

وبشأن نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر ودورها البليغ في نظافة المجتمع ونقاؤه في إمكاننا أن نستدلّ على ذلك بدور الصلاة في المرحلة الثانية من مراحل تحريم الخمر في التهيئة لتحريم الخمر تحريماً قاطعاً وتلبية المجتمع المسلم بالحكم بتحريم الخمر واعتبارها أم الخبائث والامتناع عن شربها على الفور حتى إنّ من كان في فيه شيء منها مجّه . في الآية الكريمة التاسعة عشرة بعد المائتين من سورة البقرة جاء القول : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ وفي الآية الكريمة الثالثة والأربعين من سورة النساء جاء القول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ وفي الآيتين الكريمتين التسعين والحادية والتسعين من سورة المائدة جاء التحريم النهائي للخمر في قول الحق جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ .

إن توزيع أوقات الصلوات في الإسلام لطيفٌ وجليلٌ وجميلٌ ، بحيث لا يتخلل وقت العمل أو الراحة صلاة مفروضة ، وأعني بوقت العمل ما بين صلاة الفجر والظهر ، وبوقت الراحة ما بين صلاة العشاء والفجر ، وحينما يُنْهَى المؤمن في المرحلة الثانية من مراحل تحريم الخمر الثلاث عن قرب الصلاة وهو سكران فكأن ثمة وقتاً واحداً هو الذي يستطيع أن يتناولها فيه ، أعني الليل ووقت الراحة بين صلاة العشاء وصلاة الفجر . ولكن المؤمن يقوم الليل ويتلو القرآن الكريم ويذكر ربّه

في كل الأوقات ، وقد نصت الآية الكريمة العشرون من سورة المزمل على أن طائفة من المؤمنين تقوم الليل كما يقوم المصطفى ﷺ وذلك معناه عدم الاقتراب من الخمر. ومعناه أن للصلاة قبل تحريم الخمر تحريماً قاطعاً دوراً بليغاً في منع الناس من شربها من ناحية، وتهيئتهم للامتناع عن شربها بالكلية عند تحريمها من ناحية أخرى .

أما وقد تبين شيء من دور الصلاة العظيم في اجتناب الخمر قبل أن تحرم تحريماً قاطعاً وكان من سيات خير أمة أخرجت للناس الامثال لأوامر الله تعالى ونواهيه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فإن واجب هذه الأمة المسلمة أن تمثل لأحكام الله تعالى في تحريم الخبائث وإحلال الطيبات . وكيف لا تجتنب الأمة المسلمة الله رب العالمين الخمر وهي أم الخبائث ، وهي التي ثبت شرعاً وعقلاً أذاها البالغ ، وهي التي يحرص أولو النهى في البلاد التي ابتليت بها ودمرت الأخلاق والعفة والصحة أن تقلل من الإدمان عليها ففشلت ، فضلاً عن أن تنهى عنها وتحرم شربها ، قال تعالى^(١) : ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ .

إن دور الصلاة بليغ في النهي عن كل فحشاء ومنكر فعلى الأمة الإسلامية أن تقيم الصلاة وأن تعمر المساجد بيوت الله تعالى مادياً بتشيدها ومعنوياً بذكر الله تعالى فيها ، قال تعالى^(٢) : ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خِلال﴾ وقال تعالى^(٣) : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ

(٢) سورة إبراهيم آية ٣١ .

(١) سورة الحشر آية ٢ .

(٣) سورة التوبة آية ١٨ .

آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿١﴾: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله . والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

وكانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة: الصلاة وماملكت أيما نكم . حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه (٢) ﷺ .



(١) سورة النور ٣٦-٣٨ .

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣٤٣ .

[٤] الإنفاق مما رزق الله تعالى عباده :

قال تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون﴾ .

جمع القرآن الكريم بين الصلاة والزكاة فيما يزيد على الثمانين موضعاً . وفي القول من سورة البقرة في صفات المتقين ﴿ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون﴾ يُجمَعُ بين الصلاة وبين الإنفاق مما رزق الله تعالى ، وتدخل الزكاة ضمناً في هذا النوع من الإنفاق . وفي النص على أن الإنفاق إنما هو من المال الذي رزق الله تعالى عباده تنبيه إلى مصدر هذا الرزق وطبيعته فيجب أن يكون طيباً حلالاً لأن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً .

وإذا كنا فهمنا من القول ﴿ويقيمون الصلاة﴾ دخول الصلاة المفروضة أساساً ، النوافل ضمناً ، فإننا يصح أن نفهم من القول : ﴿وما رزقناهم ينفقون﴾ شمول كل من الزكاة والصدقات والنوافل جميعاً ، وكأن في هذا القول تنبيهاً كبيراً على النوافل إضافة إلى التنبيه على أهمية الزكاة ، الركن الثالث من أركان الإسلام . والمعروف أنه بعد الشهادتين ، أول أركان الإسلام وأهمها ، تأتي الصلاة متقدمة في الدلالة على حق الله تعالى الذي يتجه إليه جل وعلا مباشرة ، وتأتي الزكاة بعد ذلك متقدمة في الدلالة على حق الله تعالى مروراً بعباده جل وعلا ، وعلى الأهمية المتميزة للمال في الإسلام . إن الصلاة إذا كانت تأتي على رأس العبادات فإن الزكاة تأتي على رأس المعاملات .

وإن الإنفاق مما رزق الله تعالى يشمل وراء الزكاة كل ما ينفقه المرء في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته بما في ذلك نفقته على نفسه وعياله ومن في حكمهم من الأهل والأرحام ، وذلك في ضوء مثل قوله عز من قائل في آيات الحكمة في سورة الإسراء^(١) : ﴿وَأَتِذَا الْقَرَبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا . إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ . إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾ .

وبشأن الإنفاق مما رزق الله تعالى نود أن نتحدث عن مسألة واحدة بالذات هي مسألة الوقف بشقيه الخيري والدّري انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ، صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له»^(٢) والمقصود بالصدقة الجارية الوقف^(٣) وهو في اللغة : الحبس ، وفي الشرع : حبس الأصل وتسبيل الثمرة^(٤) أو المنفعة ، والوقف أحياناً يكون على الأحماد والأقارب ومن بعدهم إلى الفقراء ، ويسمى هذا بالوقف الأهلي أو الدّري . وأحياناً يكون على أبواب الخير ابتداءً ويسمى بالوقف الخيري^(٥) وقد وقف رسول الله ﷺ ووقف أصحابه المساجد والأرض والآبار والحدائق والخیل . ولا يزال الناس يقفون من أموالهم إلى يومنا هذا^(٦) .

(٢) صحيح مسلم ٨٥/١١ .

(٤) فقه السنة ٣/٣٧٨ .

(٦) فقه السنة ٣/٣٧٩ .

(١) الآيات ٢٦ - ٣٠ .

(٣) فقه السنة ٣/٣٧٨ .

(٥) فقه السنة ٣/٣٧٨ .

وبما أن لكاتب هذه السطور تجربة مع الوقف فإنه في ضوء الخير العميم من الوقف الذري والخيري ينتهز هذه المناسبة الطيبة المباركة كي ينبئه إلى الدور العظيم للوقف في الإسلام، لأن رأس المال ثابت ولأن المنفعة مستمرة بفضل الله تعالى. وما أكثر الأوقاف في ديار الإسلام وفي كل مكان، وما أحوج هذه الأوقاف للمحافظة عليها والعناية بها وتنميتها وصرف ريعها في وجوه البر. إن الأوقاف حينما تجد العناية اللائقة بها فإنها بإذن الله تعالى ستغطي الكثير من احتياجات الأمة الإسلامية في جميع وجوه البر والخيرات .

وقديماً نظم السيوطي عشرًا من خصال البر في القول :

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من فِعال غير عشر
علومُ بثها ودعاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجري
ورائَةُ مصحف ورباط ثغر	وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيتٌ للغريب بناه يأوى	إليه أو بناء محل ذكر ^(١) .

نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم وأن يوفقهم لكل ما يجب ويرضى .



(١) فقه السنة ٣/ ٣٧٩ .

[١] الإيمان بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة :

من صفات المتقين الإيمان بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة . إنّ المطلوب من المسلمين أن يُعَنُوا بالقرآن الكريم العناية البالغة من حيث التلاوة والتفسير والعمل . والمعروف أن السنة النبوية المطهرة هي الميَّنة للقرآن الكريم . وإن للمسلمين أسوة حسنة في السلف الصالح الذي قفز درجات سلم الحضارة قفزاً بسبب تطبيقه تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين . وبفضل الله تعالى القرآن هو القرآن والسنة هي السنة وبقي أن تكون الهمة هي الهمة . إنّ ربّ العزة يخاطب الذين آمنوا في كل زمان ومكان بقوله عز من قائل ^(١) : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ .

إنّ المطلوب من المؤمنين أن يؤمنوا بالله تعالى ربّاً ، وبالقرآن الكريم منهجاً ، وبالرسول العظيم إماماً ، وأن يعملوا الصالحات ، وأن يعبدوه جل وعلا وحده لا شريك له حق العبادة ، قال عز من قائل ^(٢) : ﴿يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ .

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

والقرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين قال تعالى^(١): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ والقرآن الكريم قد يسه الله تعالى للذكر، قال تعالى^(٢): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ والقرآن الكريم مصدق للكتب السماوية السابقة مهيمن عليها حافظ لها أمين عليها شهيد أنها حقٌ حينما توافقه . قال تعالى^(٣): ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ .

وبشأن الكتب السماوية السابقة ذكر القرآن الكريم أربعة منها هي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . وبشأن صحف إبراهيم وزبور داود عليهما السلام لا نكاد نعرف عنهما إلا الاسم . وبشأن توراة موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام تعرضنا بنص القرآن الكريم للكثير من التحريف والتغيير والتبديل والإضافة والحذف ، جاء في سورة المائدة^(٤) قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وقوله تعالى^(٥): ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُفُوفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ وجاء في سورة آل عمران^(٦): قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلُودُونَ أَلَسْتُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

(٢) سورة القمر آية ١٧ .

(٤) الآية ١٣ .

(٦) الآية ٧٨ .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٥) سورة المائدة الآية ٤١ .

الكذب وهم يعلمون ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿١﴾: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الكتابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ وجاء في سورة البقرة ﴿٢﴾: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ .

ومن الكتب التي بيّنت التحريف البعيد المدى الذي تعرّضت له
التوراة كتاب: إفحام اليهود، الذي ألفه باللغة العربية الإمام المهتدي
السموئل بن يحيى المغربي ٥٧٠هـ تقديم، تحقيق، تعليق، الدكتور
محمد عبدالله الشرقاوي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية سنة
١٤٠٧هـ، ومن الكتب في نقد النصوص، التي بيّنت التحريف البعيد
المدى الذي تعرّض له كل من التوراة والإنجيل والتي بينت سلامة النص
القرآني تأكيداً لمعنى قول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ كتاب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي كتبه باللغة
الفرنسية وترجم إلى عدد من اللغات منها اللغة العربية بعنوان: القرآن
الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . دراسة الكتب المقدسة في ضوء
المعارف الحديثة، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م . إن بياض
الأيام وسواد الليالي يؤكدان ما قرّره القرآن الكريم من حفظ الله تعالى
القرآن الكريم من أدنى سوءٍ وتحريف، وما قرّره من تحريف كلٍ من
التوراة والإنجيل .

(١) سورة آل عمران ١٨٧ .

(٢) الآية ٧٩ .

إن المسلمين يؤمنون بكل ما جاء في القرآن الكريم ، ومما يؤمنون به ما يتعلق بالكتب السماوية السابقة ، وبخاصة التوراة والإنجيل ، ومما يمثلون له هذه التوجيهات القرآنية المتعلقة بالقرآن الكريم وبالتوراة والإنجيل ، وبمجادلة أهل الكتاب ، قال تعالى^(١) : ﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ . وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم وَإِنَّا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ . فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ . وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ . وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ . وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) سورة العنكبوت ٤٥-٤٩ .

[٦] الإيقان بالآخرة :

اليوم الآخر جزء من الغيب في قول الحق جل وعلا: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب﴾ والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة وهي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى^(١) وبذلك نكون أمام حديث خاص عن اليوم الآخر في القول: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ بعد الحديث العام عنه وذلك ضمن الحديث عن الإيمان بالغيب الذي يندرج تحته الإيمان باليوم الآخر. ولكننا الآن بصدد جملة (يوقنون) وكأن اليوم الآخر بالذات يحتاج إلى درجة أرفع من الإيمان به ألا وهي درجة الإيقان. إن من صفات المتقين أنهم يوقنون بالآخرة، وإنما احتاج اليوم الآخر إلى مرتبة الإيقان بسبب حفظه الصّرف من الغيب، فثمّة بعث وحساب وثواب أو عقاب وجنة أو نار ورؤية للحق جل وعلا في حق المؤمنين المتقين إلى غير ذلك من مظاهر للغيب.

وإنّ في النص على الإيقان باليوم الآخر تنبيهاً لنا نحن المسلمين على وجوب الاستعداد لذلك اليوم المجموع له الناس المشهود وذلك بعمل الصالحات واجتناب السيئات، وعلى وجوب الارتقاء إلى مستوى اليقين بشأن يوم القيامة. وما معنى الإيقان بيوم القيامة إضافةً إلى الاستعداد له؟ محاربة الإلحاد بكل صوره وتصحيح مسار الحضارة المادّية المعاصرة ذات النصيب الأكبر من الفصام النكد بين الدّين والدنيا، الآخرة والأولى، وهو مايسمى في أبسط الصور بالعلمانية أي اللادينية، وذات المبدأ غير الإنساني: الغاية تبرّر الوسيلة.

(١) انظر مثلاً صحيح البخاري ٢٠/١ وصحيح مسلم ١/١٥٧.

إن الإيقان باليوم الآخر معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن ، في النية والقول والعمل ، لأن الإنسان على يقين بأنه محاسب على كل ذلك ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١) .

إن الأمة الإسلامية وحدها هي التي طبقت تلك المبادئ حينما كانت في يدها مقاليد الأمور بفضل الله تعالى فأنصفت المظلوم ونصرت الضعيف ونشرت العدل^(٢) ، وإن الأمة الإسلامية هي الأهل لأن تعاود الكرة وهي المؤهلة لذلك بإذن الله تعالى شريطة الاستمساك بتعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

(١) سورة الشعراء ٨٨ - ٨٩ .

(٢) انظر مثلاً من روائع حضارتنا للدكتور/ مصطفى السباعي ، فصل أخلاقنا الحربية ٩٥ - ١١٠ .

القسم الثاني

المجد الإسلامي

[١] أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام :

من المعروف أن المصطفى ﷺ ولد في مكة المكرمة صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق سنة ٥٧٠م^(١) وقيل سنة ٥٧١م^(٢) فما هي أحوال البلاد والعباد خارج جزيرة العرب وداخلها آنذاك؟

كان الناس خارج الجزيرة العربية فريقين : أتباع الدين الساساني وهم اليهود والنصارى ، وهؤلاء قد تغلغلت التعاليم الوثنية في أعماقهم منذ فجر كل من اليهودية والنصرانية^(٣) وقد كانت اليهودية عقيدة سلاطية عنصرية ، كما كان المسيحيون مختلفين أشد الاختلاف إلى حد الاقتتال حول طبيعة المسيح وحقيقته عليه الصلاة والسلام . والمعروف أن أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام ظلوا في مجموعهم مستمسكين بعقيدة التوحيد زهاء ثلاثة قرون وساروا قرابة ثلاثمائة سنة على خطوات المسيح ثم بدّلوا^(٤) .

والفريق الآخر من الناس خارج الجزيرة العربية هم في مجموعهم وثنيون يعبدون الأصنام ، أما في فارس فقد عُرف المجوس من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار^(٥) وأساطير الديانة

(١) انظر مثلاً سيرة خاتم النبیین لأبي الحسن الندوي ٢٧ ، ونور اليقين في سيرة سيّد المرسلین للشيخ محمد الحصري ١٠ ، والفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير ٩١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٦٧/١ .

(٢) انظر مثلاً : نور اليقين ١٠ .

(٣) انظر مثلاً : السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٤-١ .

(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ١٤٢ .

(٥) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٤ .

الإيرانية لا تقل غرابة عن أساطير الديانتين الإغريقية والهندية^(١) وكانت البوذية منتشرة في الهند وآسيا الوسطى وقد تحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت^(٢) وفي الهند بلغ عدد الآلهة في القرن السادس الميلادي ثلاثمائة وثلاثين مليون إله^(٣) ويقول أستاذ هندكي وهو يتحدث عن الهند في العهد الذي يلي مباشرة ظهور الإسلام في جزيرة العرب: كانت الديانة الهندكية والديانة البوذية وثنيتين سواءً بسواءً^(٤) لقد كانت الدنيا كلها من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادى غارقة في الوثنية. وكأنها كانت المسيحية والديانات السامية والديانة البوذية تتسابق في تعظيم الأوثان وتقديسها^(٥).

وإن من أهم الأدواء التي كانت منتشرة آنذاك غنى الحكام الفائق وفقر المحكومين المدقع، ونظام الطبقات الذي يعتبر بعض الحكام من سلالة الآلهة^(٦) وبعض المحكومين منبوذين وأشقياء^(٧) هذا إلى امتهان المرأة وانحطاطها إلى درك الإماء فقد كان الرجل مثلاً قد يخسر امرأته في القمار^(٨).

فإذا تحولنا إلى جزيرة العرب تبين أن حظ العرب ليس بأحسن من حظ غيرهم من الأمم وذلك أن زمان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

-
- (١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٥ .
 - (٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
 - (٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
 - (٤) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .
 - (٥) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٧ .
 - (٦) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١٣ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٣٩ .
 - (٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٥٠ .
 - (٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٥٠ ، والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ١٥ .

كان قبل بعثة محمد ﷺ بنحو ألفين وخمسمائة سنة ولم يبعث الله تعالى إليهم في أثناء ذلك رسولا^(١) حتى بعث الله تعالى فيهم خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ الذي أخرجهم الله تعالى به من الظلمات إلى النور ومن الضلال المبين إلى الهدى واليقين قال تعالى^(٢): ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ ومن الآفات المنتشرة فيهم وأد البنات وشرب الخمر والميسر والربا والأخذ بالثأر وعبادة الأوثان . وكان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنما^(٣) .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يصطفي محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين من العرب الأميين وقد قال تعالى^(٤): ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ روى مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل ثم اختار من كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم^(٥) وحينما سئل رسول الله ﷺ عن أول أمره قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى^(٦). جاء في سورة البقرة على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام قوله تعالى^(٧): ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . إنك أنت العزيز الحكيم﴾ وجاء في سورة الصف^(٨) قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم

(١) مبادئ الإسلام لأبي الأعلى المودودي ٤٨ . (٢) سورة الجمعة آية ٢ .

(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٨ . (٤) سورة الأنعام ١٢٤ .

(٥) الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ٨٩ .

(٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٦٤ .

(٧) سورة البقرة آية ١٢٩ .

(٨) الآية ٦ .

مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .

وربما امتاز عرب الجاهلية بأنهم كانوا أقرب إلى الفطرة من غيرهم ،
وأنهم لم يفسدهم الترف والأخذ بنصيب كبير من الحضارة ، بدليل أن
أهل مكة مثلاً حينما كانت لهم السلطة قبل الهجرة إذا كانوا لم يؤمن منهم
سوى ثلاثمائة شخص^(١) وبنسبة واحد من خمسين من أهل البلد^(٢) أو
اثنين بالمائة ، وذلك حصيلة دعوة المصطفى ﷺ لهم ثلاث عشرة سنة ،
فإن كل سكان جزيرة العرب يتحولون خلال عشر سنوات من دعوة
المصطفى ﷺ بعد الهجرة من الشرك إلى التوحيد ومن الكفر إلى
الإسلام^(٣) إن جزيرة العرب هي أيضاً تحولت من الفرقة إلى الوحدة^(٤)
وهي وحدها تشكل سدس مساحة عالم الإسلام^(٥) ولا يكاد ينقضي
العجب حينما يتبين أن توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام وإمرة
المصطفى ﷺ تم بسفك أقل قدر من الدماء وإزهاق أقل عدد من
الشهداء والقتلى من المسلمين والمشركين^(٦) لقد كان العدد ألفاً وثمانية
عشر شخصاً^(٧) المسلمون منهم ٢٥٩ والكفار ٧٥٩^(٨) .

(١) نظرية الإسلام وهدية لأبي الأعلى المودودي ١٢٥ .

(٢) السيرة النبوية الشريفة ١١ .

(٣) انظر هنا : نظرية الإسلام وهدية لأبي الأعلى المودودي ١٢٥ ، والإسلام الفاتح للدكتور حسين

مؤنس ٣ ، والإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٠ .

(٤) انظر مثلاً : دحض بعض افتراءات دائرة المعارف اليهودية للمؤلف ٦ .

(٥) الإسلام الفاتح ٣ .

(٦) انظر مثلاً : نظرية الإسلام وهدية للمودودي ١٢٠ .

(٧) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣١٥ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٩٣ ،

وانظر : الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٢ .

(٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٩٣ .

وبعد مضي مايزيد على ألف وأربعمائة سنة من هجرة المصطفى ﷺ يتبين الناظر إلى أدوار الشعوب المختلفة في نشر الإسلام أن حظَّ العرب - الذين يجهلون اليوم أقدارهم وللأسف - كان أوفر من حظِّ سواهم . يقول على سبيل المثال الدكتور حسين مؤنس في هذا الشأن^(١) : « ولقد تولّت شعوبٌ إسلامية كثيرة فتح البلاد للإسلام مثل الفرس والترك بشتى صنوفهم ، ولكن العرب وحدهم هم الذين فتحوا البلاد والقلوب معاً ، وجعلوا تما فتحوا بلاد عربية وإسلام حقاً ، كما ترى في فتوح العراق والشّام ومصر والمغرب والسودان . أمّا ما فتحه غيرهم فلا يصل قطّ إلى هذه النتيجة الحاسمة . وإليك ما فتحه الأتراك العثمانيون من بلاد أوربا ، فإنه لم يخلف ، على ضخامته ، إلّا إسلاماً قليلاً . وكان الأفغان وأبناء المغول أحسن حظاً في الهند . وسبحان ربك الذي اختار نبيه من بين هذا الجنس الطيّب ، الحسن العشرة ، القريب من القلوب ، ففتح به البلاد وقلوب العباد . والله أعلم حيث يضع رسالته »^(٢) .

(١) الإسلام الفاتح ١٩ .

(٢) وانظر هنا مثلاً : شهادة الحق لأبي الأعلى المودودي ٧ ، وأثر العرب في الحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ١١٦ .

[٢] جهاد في سبيل الله تعالى :

حينما كان المصطفى ﷺ في الأربعين من عمره أرسله الله تعالى رحمة للعالمين^(١) ومكث عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يزد كفار مكة إلا عتواً في الأرض واستكباراً. وقد أذن المصطفى ﷺ لبعض الصحابة في الهجرة إلى الحبشة مرتين اثنتين تحت وطأة بطش قريش بالمؤمنين^(٢) ثم كان الإذن بالهجرة إلى المدينة المنورة. وبهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة ولدت دولة الإسلام. وبعد عشر سنوات لحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى. وبعد أن كانت حدود الدولة الفتية بعد الهجرة لا تتجاوز بضعة أميال مربعة هي حدود المدينة المنورة العاصمة، أصبحت حدود هذه الدولة حينما توفى المصطفى ﷺ تغطي أكثر من مليون ميل مربع^(٣).

والمعروف أن المكي من القرآن، وهو ما نزل قبل الهجرة، يعالج أسس العقيدة، وأن المدني من القرآن، وهو ما نزل بعد الهجرة، يعالج شؤون الدولة الفتية، والأمة النامية، والمجتمع المتوثب. ومما ارتبط بالمدني من القرآن آيات الأحكام، لأن الأحكام بحاجة إلى الدولة التي تطبقها وتنفذها، والدولة إنها وجدت بعد الهجرة.

(١) انظر مثلاً : الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ٩٦ .

(٢) انظر مثلاً : السيرة النبوية دروس وعبر د. مصطفى السباعي ٤٨ . وفيه «حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي» .

(٣) انظر مثلاً : الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٠ .

ومحاله علاقة بالأحكام الآيات الكرييات المتعلقةات بالقتال وبالجهاد في سبيل الله تعالى . إنّ المسلمين في مكة المكرمة حينما آنسوا في أنفسهم ، قبل الهجرة ، القدرة على القتال استأذنوا المصطفى ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى^(١) : ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ولما كان الحق بحاجة إلى القوة التي تحميه كان الإذن من الله تعالى للمؤمنين في السنة الثانية من الهجرة بالدفاع عن أنفسهم وذلك في قوله عزّ من قائل^(٢) : ﴿ أَذْنُ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ . وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ . إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ . وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ثم كان الأمر للمؤمنين بقتال الذين يقاتلونهم من المشركين . قال تعالى^(٣) : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا . إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وكان نزول هذه الآية الكريمة في صلح الحديبية سنة ستّ من الهجرة^(٤) ثم كان الأمر للمؤمنين بأن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة ، قال تعالى^(٥) : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ويدخل في ذلك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يدينون دين الحق من أهل الكتاب من اليهود والنصارى . قال تعالى^(٦) : ﴿ قَاتِلُوا

(١) سورة النساء آية ٧٧ ، وانظر أسباب النزول للنيسابوري ١٩٧ .

(٢) سورة الحج ٣٩ - ٤١ ، وانظر أسباب النزول ٣٥٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٠ .

(٤) انظر : أسباب النزول ٨٧ ، ونور اليقين ٢٠٩ .

(٥) سورة التوبة آية ٣٦ .

(٦) سورة التوبة آية ٢٩ .

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿٥٩﴾.

ونبادر إلى القول إن الإسلام فتح بنفسه أضعاف ما فتح المجاهدون في سبيل الله تعالى (١).

عرفنا أن جزيرة العرب تحولت في حياته ﷺ وقبل أن يلحق بالرفيق الأعلى من الشرك إلى التوحيد ومن الفرقة إلى الوحدة، فقد قاد المصطفى ﷺ بذاته الشريفة ثمانياً وعشرين غزوة وبعث سبعاً وأربعين سرية يقودها قواده عليه الصلاة والسلام (٢) وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام كانت حادثة الردة التي جرت في أوائل خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستمرت نحو سنة كاملة، ثم تصاعد مدّ الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأوائل عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أصبح الفتح طوفاناً عارماً (٣) ووصف بكلمة الانفجار. أي مثل السرعة الهائلة التي أخذ بها الإسلام في الانتشار والازدهار كمثال انفجار المتفجرات (٤) واستمرت حركة الفتح تسعاً وثمانين سنة، من سنة إحدى عشرة هجرية إلى سنة مائة هجرية (٥) ٧١٨ م (٦) من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً (٧) وتنضم هذه البلاد

(١) انظر مثلاً: الإسلام الفاتح ٤، ١٧، ١٨، والنبى الخاتم ﷺ ٦١.

(٢) انظر مثلاً: العسكرية العربية الإسلامية اللواء الركن محمود شيت خطاب ٣٢، وانظر: أوروبا والإسلام د. عبد الحليم محمود ١٥٤، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٨٣.

(٣) العسكرية العربية الإسلامية ٣٢.

(٤) الإسلام اليوم لأبي الأعلى المودودي ١٥.

(٥) العسكرية العربية الإسلامية ٥٩.

(٦) العسكرية العربية الإسلامية ٣٢.

(٧) العسكرية العربية الإسلامية ٥٩.

الشاسعة في الوقت الحاضر زهاء سبع وثمانين مملكة وجمهورية وإمارة ومشيخة في آسيا وأوروبا وأفريقية^(١) وكان علّم الإسلام يرفرف على كل تلك المناطق . وفي عام ٧٥٠م أي بعد موت محمد ﷺ بـ ١١٨ عاماً أصبح قَدْح الزَّند في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى في يد الدولة الإسلامية الجديدة التي مدت سلطانها على المنطقة جغرافياً وثقافياً^(٢) وإذا كانت الإمبراطورية الرومانية قد احتاجت ألف عام حتى نمت إلى اتساعها الجغرافي الكامل وحتى بلغت نضجها السياسي ، فإن الدولة الإسلامية بزغت ثم بلغت أشدها في مدة وجيزة تبلغ نحو ثمانين عاماً^(٣) وإذا كان قرنٌ واحدٌ من الزمان كافياً لتقويض الإمبراطورية الرومانية فقد كانت الحاجة ماسة إلى أكثر من ألف ومائتي عام من الانحلال البطيء حتى يتم الانهيار السياسي نهائياً، ذلك الانهيار الذي تمثل في إلغاء الخلافة العثمانية ، والذي تبعته العلامات الأولى فقط للتفكك الذي نشهده اليوم في البناء الاجتماعي الإسلامي^(٤) .

ونحن في حديثنا عن الفتوح الإسلامية التي شملت زهاء ثلث الجزء المعمور من الكرة الأرضية آنذاك نود أن نشير إلى عدة أمور هي :

١ - حينما يصل المسلمون إلى أي مكانٍ هم بفضل الله تعالى يستقرون ولا يخرج الإسلام إلا بأعمالٍ شنيعة ضده من قبل خصومه ، وذلك على غرار الأعمال الشنيعة التي عملت ضد الإسلام وأهله في

(١) العسكرية العربية الإسلامية ٤٩ .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية باول شمتز ترجمة د . محمد شامة ٢٤ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ترجمة د . عمر قزوخ ٣٦ .

(٤) الإسلام على مفترق الطرق ٣٧ .

الأندلس قديماً إسبانيا حديثاً، إثر زوال دولة الإسلام في الأندلس، بعد حكم دام زهاء ثمانية قرون. إن المسلمين حينما كانت الكلمة لهم انصفوا المظلومين. وها هو ذا غوستاف لوبون يقول: إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم^(١) ويقول رينو في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط: إن المسلمين في مدن الأندلس يعاملون النصارى بالحسنى، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير^(٢) وفي مقابل رحمة المسلمين وعدلهم ومعاملتهم الآخرين بالحسنى انظر ما فعله الإسبان حين استولوا على غرناطة آخر مملكة للإسلام في الأندلس بعد أن أعطوا المسلمين بضعة وستين عهداً باحترام ديانتهم ومساجدهم وأموالهم وأعراضهم، ولكنهم لم يراعوا عهداً، ولم يفوا بزمّة، ولم يعفوا عن سفك الدماء وإزهاق الأرواح وسلب الثروات. فلم يكدمضي على سقوط غرناطة اثنتان وثلاثون سنة حتى أصدر البابا أمره عام ١٥٢٤م بتحويل جميع مساجد إسبانيا إلى كنائس! ولم تمر بعد ذلك أربع سنوات أخرى حتى لم يبق في إسبانيا كلها مسلمٌ واحد! هذا هو وفاؤهم بالعهود وذلك هو وفاؤنا^(٣).

٢- فتح الإسلام بذاته أضعاف ما فتح المجاهدون. وقد شاء الله سبحانه وتعالى أنه في الوقت الذي يقتطع فيه جزءاً من أجزاء الإسلام،

(١) من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي ٩٤، والسيرة النبوية د. مصطفى السباعي ١٥٥.

(٢) من روائع حضارتنا ٩٢.

(٣) من روائع حضارتنا ١٠٨، ويقول أبو الحسن الندوي في كتاب: إلى الإسلام من جديد: ٢٢: «وهل إسبانيا الحاضرة إلا مدينة بلا روح، وحياة بلا مبدأ وأمة بغير رسالة للعالم». وتقول زيجريد هونكة، مجلة المنهل العدد ٤٩٤ ص ١٣٩: «والحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م انتهى عهد السّاحة إلى الأبد».

ويتم ذلك عادةً حينما يكون المسلمون ضعفاء، يضمّ الإسلام الدين الطيار إلى حوزته أراضي أوسع وممالك أرحب. إنه - على سبيل المثال - في الوقت الذي تضيع فيه الأندلس يضم الإسلام إلى حوزته في تلك الأثناء ممالك في آسيا الصغرى وفي جنوب شرقي آسيا. وإنه - على سبيل المثال أيضاً - في الوقت الذي تقوم فيه دولة البغي إسرائيل في أرض فلسطين وتطرد أهلها تقوم دولة الباكستان الفتية. ثم إن الأمل كبير في الله تعالى أن يعود للإسلام مجده ويلتئم عقده .

٣- إن الإسلام الدين الطيار إنما استطاع أن يستقر في الأماكن التي وصل إليها بسبب أخلاق أتباعه الفاضلة، فالثابت أن المسلمين فتحوا بأخلاقهم القلوب بأكثر مما فتحت سيوفهم الحصون، والله الحمد والمنة . وهذا ما سنحاول بإذن الله تبينه فيما يلي :

٣ - أسوة حسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى :

بإرادة الله تعالى توحّدت جزيرة العرب تحت إمرة المصطفى ﷺ ،
ربما لأول مرة في التاريخ ، وبإرادة الله تعالى تحول أهلها من الشرك إلى
التوحيد ، قبل أن يلحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى . والمعروف أن
جزيرة العرب تشكّل وحدها زهاء سدس مساحة العالم الإسلامي (١) وقد
نعت الله تعالى رسوله في محكم كتابه بالخلق العظيم وذلك في قوله عزّ من
قائل (٢) : ﴿وإنك لعلي خلق عظيم﴾ وحينما سئلت السيدة عائشة رضي
الله عنها عن خلقه ﷺ قالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (٤)
وكان للمؤمنين أسوة حسنة في المصطفى ﷺ وقد قال تعالى (٥) : ﴿لقد
كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيراً﴾ وقد استمسك السلف الصالح بوصية المصطفى ﷺ بقوله
مخاطباً المؤمنين في حجة الوداع : «وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به
فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وستة نبيه» (٦) ﷺ .

إن هذه الأخلاق الإسلامية العظيمة تحلّى بها كلّ من المجاهدين
الفاتحين والدعاة المبلّغين . وقد عرفنا أن زهاء ثلثي العالم الإسلامي لم
يصلها جندي مجاهد واحد ، إنما الذي وصلها الدعاة إلى الله تعالى
الذين طبقوا في دعوتهم أمره جلّ وعلاهم في القول في سورة النحل (٧) :

(٢) سورة القلم آية ٤ .
(٤) نور اليقين ٣٠٩ .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٢٥١ / ٤ .

(١) الإسلام الفاتح ٣ .
(٣) نور اليقين ٣٠٩ .
(٥) سورة الأحزاب ٢١ .
(٧) الآية ١٢٥ .

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن. إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ وإن المجاهدين في سبيل الله تعالى، رهبان الليل وفرسان النار، وإنّ الدعاة إلى الله تعالى المخلصين الربّانيين، كانوا جميعاً يتمثلون معنى قوله تعالى خطاباً للمؤمنين في سورة النور^(١): ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

وإليك بعض الشهادات في المجاهدين والدعاة من بعض العظماء من مفكري الإسلام. يقول الإمام الشهيد حسن البنا^(٢): «والتاريخ يحدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل أن يفتحوها بسيفهم وعدّتهم وعددهم. فلا يتصور أنّ عدداً قليلاً من هؤلاء العرب يثّل عرش كسرى ويدكّ ملك قيصر ويرث هذه الإمبراطوريات الضخمة في هذا العدد من السنين بمجرد القوة. ولا يعقل أن ثمانية آلاف جندي يفتحون إقليماً شاسعاً كمصر وينشرون فيها دينهم ولغتهم وآدابهم وثقافتهم وعقيدتهم بالإكراه والجبروت، ولكن بحسن الأخذوثه وجميل العمل» ويقول أبو الأعلى المودودي^(٣): «ومن النماذج الرائعة في السمو الخلقي الذي عرضته الجنود الإسلامية

(١) الآية ٥٥.

(٢) السلام في الإسلام ٧٤، والمعروف أن اللغة القبطية لم تتلاش تماماً إلا في القرن السادس الهجري، العربية يوهان فك ٢٢.

(٣) الإسلام اليوم ١٧.

على الدنيا أنها كانت تدخل مدينة تفتحها، وتجوب في شوارعها، ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبهى ثياب التبرج والإغراء يتطلعن إلى المواكب، ولم يحاول جنديٌّ من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر إليهن ولو بنظرة عابرة. تقطع المواكب الشوارع بدون أن تعلم ما إذا كان هناك من النساء يطلعن عليها من الشرفات الأمر الذي كان يختلف تماماً عما جربته تلك الأمم المغلوبة من ويلات الغزاة فيما خلت من القرون، وماتناقله الناس من القصص والحكايات عن الأمم الغازية. إذ كان من السَّنة المتبعة أنه كلما وطئ الغزاة أرض قوم عاثوا فيها فساداً، ولم يتركوا عرض امرأةٍ منهم إلا وانتهكوا وارتكبوا معها الفظائع. فبعد هذه المواقف الفذة مع أهالي البلاد المفتوحة كيف كان من الممكن ألا تكسب الجيوش الإسلامية قلوبها، الجيوش التي تكتسح المناطق بدون أن تنتهك حرمة أو تمس بكرامة أحد» ويقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(١): «ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها أحد أن الذي حققته أخلاقهم السامية وسلوكهم النزيه من المعجزات لا يقارن بما أنجزته سيوفهم. . . . ولهذا السبب نفسه نرى أن الأقطار التي فتحوها لم يكتف سكانها بالخضوع لقوتهم السياسية بل أصبحوا من المولعين بهم والمريدين لهم: اعتنقوا دينهم، واتبَعوا حضارتهم، وارتضوا لغتهم. وها هي الأقطار التي فتحها المسلمون الأوائل مازال سكانها يعتبرونهم، على مدار التاريخ، أبطالهم وروادهم، ولا يجحون أن يرجعوا بأواصرهم إلى أسلافهم الكافرين أو ينسبوا إليهم ماضيهم، فهل لسيفٍ أن يحقق هذه المعجزة في العالم؟».

(١) الإسلام اليوم ١٩ .

ويحضرني شخصياً واحداً من الأدلة الكثيرة على عمق الود لأولئك الفاتحين وعظيم الامتنان لهم . كنت في صيف سنة ١٣٨٣ هـ في باكستان في كراتشي ، وقد التقيت بكثير من الإخوة في الإسلام الذين لا أستطيع أن أقدر عظيم حبهم لنا نحن العرب ، لدرجة أن سكان القرى إذا علموا بأن شخصاً من بلاد الحرمين زار قريتهم لا يسمحون له بالمغادرة بحالٍ من الأحوال قبل ان يستضيفوه ثلاثة أيام بلياليها . وفي أحد الأيام أخذنا فريقاً من هؤلاء الأحباب إلى مكانٍ خارج مدينة كراتشي يوجد به معلم تاريخي سامق البنيان وأخبرونا بكل فخر واعتزاز بأن هذا المعلم التاريخي يشير إلى المكان الذي وطئته أولاً أقدم القائد العربي المسلم محمد بن القاسم الثقفي وصحبه الكرام من المجاهدين في سبيل الله تعالى الأبطال . لقد ولد محمد بن القاسم سنة ٢٦ هـ - ٦٨١ م وتوفي نحو سنة ٩٨ هـ ٧١٧ م بمعنى أنه عاش ستاً وثلاثين سنة فقط ، وهو الذي عناه حمزة بن بيز الحنفي بقوله :

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة^(١)

إن الذكر العاطر لهذا القائد المظفر والمجاهد الأجدد يأتي بعد زهاء ألف وثلاثمائة سنة من وفاته رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وسيستمر بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وعن هؤلاء الدعاة الذين عُنوا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق يقول العلامة أبوالحسن الندوي^(٢) : «فانتشر بهم الدين الحنيف في أنحاء العالم البعيدة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً . وكان لهم فضلٌ في انتشار

(١) الأعلام ٦/ ٣٣٣ .

(٢) النبي الخاتم ٦١ .

الإسلام في شبه القارة الهندية، وخاصة في المناطق التي لم يغزها جيش إسلامي ككشمير وبنغال الشرقية وفي جزر المحيط الهندي وقارة أفريقيا» ويقول^(١): «إن كلمات العدل والمساواة والإنسانية منتشرة ذائعة اليوم في كل ناحية من نواحي الهند، وبارزة على كل صفحة من صفحات أدبائها وكتابها، وخفيفة على لسان كل خطيب ومتكلم. ومن ذا يكابر في أن الإسلام هو الذي عرّف هذه الكلمات إلى أهل هذه البلاد وسعى في رواجها وذبوعها في بلاد لم تكن تعرف هذه الكلمات ومعانيها».

ويقول العلامة الدكتور حسين مؤنس^(٢): «وفي بلاد المغرب أسلمت قبائل البربر مبهورة بما رأت من روعة إيمان عُقبة بن نافع وأصحابه، فهذا الرجل الفريد في بابهِ، الذي وهب نفسه للإسلام، كان يلقي رئيس القبيلة ويحدثه ثم يدعوه إلى الإسلام فيسارع إلى الإيمان ليكون من قوم عُقبة، ثم يتبعه بعد ذلك قومه» وبشأن انتشار الإسلام في أفريقيا يقول^(٣): «اخترق الإسلام مائتي كيلومتر من الغابات الاستوائية التي لا يتجرّقها أحدٌ إلا بمشقة» ويقول عن الكلمة الطيبة: إنها هي^(٤) «التي فتحت مغاليق القلوب ونقلت إلى الإسلام أقواماً كان الغرب يقول إلى حين قريب إنهم ليسوا من البشر» وبعد إشاداته بأدوار بعض الشعوب الأفريقية في المحافظة على الإسلام ونشره يقول^(٥): «فهذه أربعة شعوب مباركة دخلت الإسلام سلماً دون حرب، وأقامت دولاً وحضارات وحافظت على الدين في بلادها ونشرته في فجاج أفريقيا المدارية والاستوائية» ويقول^(٦): «ففي الأندلس كان أهل البلاد يجدون في العربي

(٢) الإسلام الفاتح ١٦ .

(٤) الإسلام الفاتح ٨٤ .

(٦) الإسلام الفاتح ١٨٨ .

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٩ .

(٣) الإسلام الفاتح ١٧ .

(٥) الإسلام الفاتح ١٦٥ .

عشيراً حسناً وصديقاً ودوداً» ويقول^(١) : «ولا حاجة بنا إلى الكلام على ما كان من تقارب وتآخ بين العرب الأول وأهل البلاد حتى إن رجال القبائل كانوا يتنافسون على العرب . فتجتهد كل قبيلة في أن ينزل بها عربي، فيبدأ معلماً لأفرادها وينتهي رئيساً لها، ويتزوج منها ويسرع بإسلامها، وخاصة إذا كان آل البيت العربي من آل إدريس بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه سليمان» وبشأن نشاط مصر ببلد الأزهر الشريف في نشر الإسلام في السودان يقول^(٢) : «خلال تلك الفترة الطويلة عمل المصريون على نشر الإسلام وإرسال الشيوخ وإنشاء المعاهد الدينية والمدارس في كل بلاد السودان مما ربط شعوب السودان النيلي بعضها ببعض وجعلها شعباً سودانياً واحداً لغته العربية وديانته الإسلام . وهذا أعظم كسب حققه الإسلام والعروبة في إفريقيّة منذ قرون طويلة . فقد أصبح أكبر أقطار القارة الإفريقية وهو السودان بلداً إسلامياً يتّصل بعددٍ كبير جداً من البلاد الإفريقية ويفتح أبوابها للإسلام» .

وإذا كان السودان أكبر بلدٍ إسلامي من حيث المساحة في إفريقيّة، فإنه ينبغي علينا، وقد عملنا هذه الدراسة من أجل الندوة العالمية للقرآن الكريم التي تعقد في كوالالمبور عاصمة ماليزيا، ينبغي علينا أن نشير إلى أكبر البلاد الإسلامية على الإطلاق، ألا وهو أندونيسيا البلد المجاور، إن أندونيسيا : «أكبر بلد إسلامي على الأرض وأعمرها بالمسلمين»^(٣) وأندونيسيا من البلاد التي فتحها دين الإسلام بذاته عن

(١) الإسلام الفاتح ١٨٩ .

(٢) الإسلام الفاتح ٢١١ .

(٣) الإسلام الفاتح ٥٣ .

طريق الدعاة المخلصين ، شأنها في ذلك شأن كل البلاد المجاورة . وفي العام المنصرم حينما كنت في زيارة لأندونيسيا وزرت فيها العديد من كبار الجزر سمعت الكثير عن توضيحات الدعاة إلى الإسلام من أبناء أولئك الدعاة وأحفادهم ، ومن هؤلاء الدعاة من كان يجوب البلاد بواسطة دراجته الهوائية بائعاً داعياً . إن الأرض حينما تسهل وتلين يركب الداعية دراجته . وحينما تصعب وتقسو بسبب حاجزٍ مائي أو جبلي يحملها الداعية على ظهره . وهكذا ذواليك . ومن ألطف ماقاله لي هذا الابن^(١) عن أبيه الداعية إلى الله تعالى : إن أباه حذق بعض الألعاب التي تجذب الصغار والكبار على حد سواء ، وكان قد اقتبسها من بعض الجاليات الموجودة هنالك . فقرر تسخير مواهبه من بين وسائله في الدعوة إلى الله تعالى . وكى يستميل المشاهدين للدخول في الإسلام أعلن أن على من يريد أن يشاهد هذه الألعاب الممتعة أن يدفع قيمة التذكرة . وليست تلك القيمة مالاً أو عرضاً من أعراض الدنيا . إن قيمة التذكرة كلمة واحدة هي كلمة التوحيد ، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! رحم الله تعالى الداعية الشيخ عبدالله باسلامه رحمه واسعة وأسكنه فسيح جناته وهو وسائر الدعاة والمخلصين في خدمة هذا الدين الحنيف ونشره في الخافقين . آمين .

ومادمنا نتحدث عن الدعاة إلى الله تعالى وأعمالهم الصادقة في صمت لنشر الإسلام وعن هذا السلف الصالح الأسوة الحسنة لنا فإننا نود أن نشر إلى نتيجة حاسمة للدعاة إلى الله تعالى في القرن الرابع الهجري الذي تقاعس فيه المسلمون عن الجهاد في سبيل الله تعالى فعانت الدولة البيزنطية

(١) هو الدكتور عبدالرحمن عبدالله باسلامة مدير جامعة المسلمين الأندونيسية يوجتق بأنندق .

دولة الروم منذ منتصف القرن الرابع الهجري فساداً في ديار الإسلام وجاست خلال الديار واستولت على جميع الثغور الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة وأرمينية^(١) أما هذه النتيجة الحاسمة فإنها من معاني قول الحق جلّ وعلا^(٢) : ﴿وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ فقد ذكر المؤرخون في حوادث سنة ٣٤٩هـ ما نصّه : وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه . والخركاة معناها الخيمة . وكانت كل خيمة تضم أسرة واحدة على الأقل ، أي نحو مليون نسمة . وهذا يعني أن سنة ٣٤٩هـ سنة فاصلة في اعتناق الأمة التركية للإسلام^(٣) ولا تسلم عن دحر هؤلاء المسلمين جحافل الصليبيين ، فقد تكسرت في ديارهم الكثير من هذه الموجات الصليبية ، وما أعظم الأعمال البطولية التي قام بها المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين الذي قهر بطل الحملة الصليبية الأولى بوهند النورماني وأخذه أسيراً ذليلاً حقيراً إلى عاصمته^(٤) وقضى على ثلاث حملات صليبية كبرى^(٥) سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م^(٦) وأصبح اسمه كفيلاً بإثارة الرعب في نفوس سائر الصليبيين بسبب ما أحرزه عليهم من انتصارات ضخمة^(٧) .

ومادمنّا وصلنا إلى القرن الرابع الهجري وجهود الدعاة إلى الله تعالى التي آتت أكلها في هيئة اعتناق شعوبٍ بكاملها عقيدة التوحيد دون أن نعرف شيئاً عن أولئك الدعاة الذين عملوا في صمتٍ وآثروا الآجلة على العاجلة فإننا لانستطيع أن نُغفِلَ عملاً رائعاً هؤلاء الدعاة في صمت

(١) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند د . علي محمد عودة الغامدي ٨ .

(٢) سورة محمد آية ٣٨ . (٣) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ٩ .

(٤) المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ١٠ ، ٦٧ . (٥) المجاهد المسلم ١١ ، ٦٧ .

(٦) المجاهد المسلم ٦٩ ، ويلاحظ أن سقوط القدس في يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ ، ١٠٩٩م .

(٧) المجاهد المسلم ٧٠ .

ترتب عليه اعتناق أول سلطان من سلاطين المغول في روسيا لدين الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركة خان وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدي أجداده، بالقضاء على الخلافة العباسية في بغداد سنة ١٢١٨/٦٥٦م^(١) ومن الواضح أن الحديث في هذا الجانب ضروري وذلك في ظل التطورات المذهلة التي حدثت هذه الأيام في الاتحاد السوفيتي مما نجم عنه انهيار الشيوعية في لحظات بعد ان خنقت الأديان، وبخاصة الإسلام، سبعين سنة. وأبادر إلى تسجيل مظهر من المظاهر المبهجة للصحة الإسلامية في تلك الديار الإسلامية وهذا المظهر المبهج نعيشه هذه الأيام في مكة المكرمة التي تقيم فيها وزارة الحج والأوقاف بالملكة العربية السعودية الاحتفال الدَّوِّي الرابع عشر لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره والذي اشترك فيه لأول مرة شباب من تلك البلاد بعد ان دمر الله تعالى تدميراً الحصار الشيوعي والكابوس عدو الدين اللدود الذي استمر جاثماً سبعين سنة، والله الحمد والمنة. واللطف أن من هذا الشباب من اشترك في أرفع فروع المسابقة، في حفظ القرآن الكريم كاملاً وفي التفسير.

وهذا يقتضينا أن نسجل بإيجاز أهم خطوات انتشار الإسلام في تلك الأصقاع كي نكون على بينة نحن المسلمين من جهاد السلف الصالح باللسان وباللسان. انتشر الإسلام لأول مرة في أذربيجان وداغستان. وكان ذلك في أوائل القرن السابع الميلادي أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) ثاني الخلفاء الراشدين وعمر رضي الله عنه ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة الموافق ٥٨٤م وتوفي سنة ٢٣ هجرية الموافق ٦٤٤م^(٣).

(١) الإسلام الفاتح ٧٦ . (٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية المفتي ضياء الدين خان ١١ .

(٣) الأعلام للزركلي ٤٥/٥ .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي ولد سنة ٢٠ قبل الهجرة الموافق سنة ٦٠٣ م وتوفي سنة ٦٠ هـ الموافق سنة ٦٨٠ م^(١) وبقياة سعيد بن عثمان رضي الله عنه ابن عفان المتوفي بالمدينة نحو سنة ٦٢ هـ الموافق ٦٨٢ م^(٢) وصل الإسلام إلى آسيا الوسطى التي كانت تسمى آنذاك ببلاد ماوراء النهر. وكانت هذه البلاد تشمل مدن سمرقند وبخارى (بلد الإمام البخاري) وشاش وترمد ونسف وكش وخوارزم ومرو وخجند وبالاغاون وأوزكند ونساء وغيرها^(٣) وقد أرسل خلفاء بني أمية إلى هذه الديار من يقوم بنشر العقيدة الإسلامية وتدریس القرآن واللغة العربية^(٤).

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مران الذي ولد سنة ٢٦ هـ الموافق ٦٤٦ م والمتوفي سنة ٨٦ هـ الموافق ٧٠٥ م^(٥) تم إرسال قتيبة بن مسلم المولود سنة ٤٩ هـ الموافق ٦٦٩ م والمتوفي سنة ٩٦ هـ الموافق ٧١٥ م^(٦) إلى آسيا الوسطى ووصل إلى الصين ثم عاد^(٧) وتوفي قتيبة في مدينة مارغيلان التي أنجبت كثيراً من العلماء البارزين في العالم الإسلامي^(٨).

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وهو جعفر بن أحمد بن طلحة أبو الفضل المولود سنة ٢٨٢ هـ الموافق ٨٩٥ م والمتوفي سنة ٣٢٠ هـ الموافق ٩٣٢ م^(٩) أرسل ملك البولقار صلطيغار ابن شيلكي بعثته إلى الخليفة العباسي يرجوه أن يرسل إليه من يلقنه الدين الإسلامي ويعلمه قوانين الإسلام. ووعده الملك بأن ذلك لو تم فإن الملك سيبنى للقادم

(١) الأعلام ٢٦١ / ٧ .

(٢) الأعلام ٩٨ / ٣ .

(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .

(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .

(٥) الأعلام ١٦٥ / ٤ .

(٦) الأعلام ١٨٩ / ٥ .

(٧) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .

(٨) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٢ .

(٩) الأعلام ١٢١ / ٢ .

مسجداً ويقيم له المحراب لكي يلقي خطبة الخليفة في بلده وكافة أصقاع دولته^(١) وفي عام ٣٠٩ هـ الموافق ٩٢١ م قدمت بعثة الخليفة إلى بلاد البولقار وكان على رأسها سوسان الراسبي ، وذلك بعد ان قطعت مسافات طويلة واستقبلت بحفاوة بالغة على امتداد مسيرة يوم وليلة من قصر الملك^(٢) .

وفي يوم الخميس في شهر أيار (مايو) عام ٩٢٢ م جرت مراسم اعتناق الإسلام في أكبر حشد جماهيري . وأقيمت في اليوم التالي أولى الشعائر الدينية ، وأعلن الإمام عن قرار ملك البولقار بتغيير اسمه باسم إسلامي جديد ، حيث سمي نفسه بجعفر بن عبدالله^(٣) . وابتداءً من اليوم السادس عشر من شهر محرم عام ٣١٠ هجرية المصادف ٩٢٢ م ساعد اعتناق جعفر وجماعته الدين الإسلامي على انتشار الإسلام وتقويته بين البولقار . ولم يمض ٥٠ - ٦٠ عاماً على ذلك التاريخ حتى اعتنق جميع البولقار الإسلام ، وظهر آنذاك بتأثيرهم الإسلام بين الشعوب المجاورة ، عند التشوفاشيين والماريين والبشكير . وفي ذلك القرن بالذات انتقلت مجموعة من الشعوب المجاورة إلى الإسلام أيضاً^(٤) .

وهكذا نكون أمام عجيبة من عجائب هذا الدين بفضل الله تعالى الذي رضي لعباده دين الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ ثم بفضل إخلاص الدعاة إلى الله تعالى حينما نتبين ان المسلمين ينهزمون عسكرياً ويتنصر الإسلام . كلنا على علم كيف قهر التتر- ذلك الجراد المنتشر- العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وخضدوا شوكة المسلمين ، فلم

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٥ .

(٢) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ ، والإسلام الفاتح ٧٧ .

(٣) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ .

(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٦ .

تقسم لهم قائمة ، ولم يقف في وجههم واقف ، وكاد المسلمون يصبحون أثراً بعد عين ، واستولى اليأس على قلوبهم حتى كان من الأمثال السائرة : إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق^(١) وقضوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ - ١٢١٨ م^(٢) هنالك فعلت الدعوة الإسلامية فعلها ، ونفذت فيهم . فإذا القاهر يصبح مقهوراً ، وإذا الفاتح مفتوح لدين المفتوحين ، وإذا التتر يتلفظون بكلمة الإسلام ، ويدينون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويصبحون أمة إسلامية^(٣) وكان ذلك بعد مرور أقل من خمسين سنة على مجيئهم إلى بلاد ماوراء النهر^(٤) وأول من هداه الله منهم بركات خان (١٢٥٧ - ١٢٦٦) صاحب القلعة الذهبية^(٥) وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي^(٦) وقد تسمى باسم الملك السعيد بركة خان وأخذ كل المغول التابعين له باعتراف هذا الدين ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدي أجداده فاهتم بإنشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إليهم وتيسير مهمتهم في نشر الدين^(٧) .

(١) إلى الإسلام من جديد لأبي الحسن الندوي ١٨ .

(٢) الإسلام الفاتح ٧٦ .

(٣) إلى الإسلام من جديد ١٨ .

(٤) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ .

(٥) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ ، والإسلام الفاتح ٧٦ .

(٦) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٨ .

(٧) الإسلام الفاتح ٧٦ .

٤- أسوة حسنة في مجال العلم :

ليس ثمة دينٌ حثَّ على العلم كما فعل الإسلام . إن أول ما نزل على المصطفى ﷺ من القرآن الكريم ذو علاقةٍ بالقراءة والعلم والقلم . قال تعالى^(١) : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وإن أول قسم في القرآن الكريم بالقلم . قال تعالى^(٢) : ﴿ ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وإن لفظة « العلم » والمشتقات من الأصل اللغوي : « علم » تحيي في القرآن الكريم أكثر من ثمانمائة مرة^(٣) وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي حثت على العلم ورفعت من شأنه وشأن العلماء . قال تعالى^(٤) : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وقال تعالى^(٥) ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وقال تعالى^(٦) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »^(٧) وقال النبي ﷺ « لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »^(٨) .

(١) سورة العلق ١-٥ ، وانظر : الإسلام والمستقبل د . عبدالعزيز كامل ٣٩ ، و ٤٣ .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) انظر في : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أعداد هذه الألفاظ .

(٤) سورة الزمر ٩ .

(٥) سورة المجادلة ١١ .

(٦) سورة قاطر ٢٨ .

(٧) صحيح البخاري ٢٧ / ١ .

(٨) صحيح البخاري ٢٨ / ١ .

وفي الإمكان أن ننظر إلى المد الإسلامي من ثلاث جهات أو ثلاث موجات، منها ما حصل له الوقوف والانتهاه، ومنها ما حصل له الانحسار، ومنها ما حصل له الاستمرار والانتساع .

أما ما حصل له الوقوف والانتهاه فالمد العسكري . وهذه نتيجة حتمية لكل جيش زاحف، وقد عرفنا أن المد العسكري الإسلامي ليس له نظير في السرعة وفي عمق الأثر لأن المجاهدين المسلمين رهبان الليل فرسان النهار .

وأما ما حصل له الانحسار فاللغة العربية منطوقة أولاً مكتوبة آخرأ .

وأما ما حصل له الاستمرار والانتساع فالمد الإسلامي ذاته، وقد عرفنا أن الإسلام وهو الدين الطيار قد فتح بنفسه بواسطة الدعاة إلى الله تعالى أضعاف ما فتحت الجيوش الإسلامية، وقد اقترن بالمد الإسلامي المد الفقهي .

وإن هذا القول الموجز بحاجة إلى شيء من بسط القول :

بما أن الفتح الإسلامي فتح حضاري في الحقيقة وليس فتحاً عسكرياً . والدليل على أن الجيوش الإسلامية قاتلت الحكومات المنحرفة عن سواء السبيل أنها لم تجد مقاومة من الجماهير مطلقاً^(١) بدليل أن المسلمين فتحوا إسبانيا والبرتغال في أقل من عامين اثنين^(٢) وها هو ذا الوطني الإسباني الغيور والكاتب المشهور المعاصر بلاسكو أبانيز، مشيداً في حماس بمسجد المسلمين في الأندلس يقول في أهم مصنفاته وهي «ظلال الكنيسة» : «لقد أحسنت إسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين

(١) الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ١٥ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٦ .

قدموا إليها من القارة الأفريقية، وأسلمتهم القرى أزمتهما بغير مقاومة ولا عداء. فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى حتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب. وكانت غزوة تمدين ولم تكن غزوة فتح وتدويخ»^(١) وبشأن الانسجام والتآلف بين الأجناس والأديان لا يجد لنهضة الأندلس آنذاك شبيهاً إلا في الولايات المتحدة اليوم يقول^(٢): «كان سكان إسبانيا يزدادون فيزيدون على ثلاثين مليوناً تنسجم بينهم جميع العناصر البشرية والعقائد الدينية. وخفق قلب الحياة الاجتماعية بأقوى نبضاته التي عرفها تاريخ الجماعات البشرية، فلا نرى لها قريناً نقابله به غير مانجده في الولايات المتحدة الأمريكية من تنوع الأجناس واتصال الحركة والنشاط».

وإنما اخترنا الأندلس بالذات للحديث عنها لأنها أهم المناطق النائية التي خسرها المسلمون بفعل التعصب الأعمى المقيت والتي خسرها أيضاً أولئك الذين طردوا الإسلام والمسلمين منها وقد قال أبو الحسن الندوي^(٣): «وهل إسبانيا الحاضرة إلا مدينة بلا روح، وحياة بلا مبدأ، وأمة بغير رسالة للعالم!». وتقول هونكة: «والحقيقة أنه بخروج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م انتهى عهد السباحة إلى الأبد»^(٤).

واللطيف أن المؤلف الإسباني يشبه الأندلس المسلمة المتسامحة بالولايات المتحدة الأمريكية اليوم. لقد كانت كلمة الإسلام والمسلمين

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٦.

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ١١٧.

(٣) إلى الإسلام من جديد ٢٢.

(٤) مجلة المنهل العدد ٤٩٤ ص ١٣٥.

آنذاك هي العليا .

لقد كان المجاهدون المسلمون رهبان الليل حقاً وقد كانوا صورةً صادقةً لتعاليم الإسلام كما بينّها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ والسلف الصالح وكانت أسوتهم الحسنة متمثلة في شخص المصطفى ﷺ الذي قال الله تعالى عنه في محكم كتابه (١) ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ومن هنا كانت الجيوش الإسلامية ذات صبغتين اثنتين عسكريّة وثقافيّة . ومعروف أن الصبغة الثقافية أطول عمراً، وأعمق أثراً . وكان القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ المحور الذي تدور حوله الصبغة الثقافية . ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين وكانت العربية لغة الحديث النبوي الشريف فقد شاء الله تعالى ألاّ يبعث رسولاً إلا بلسان قومه كما قال تعالى (٢) : ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء . وهو العزيز الحكيم﴾ لذا فقد كانت اللغة العربية هي لغة هذه الصبغة الثقافية . بقي علينا أن نعرف أن المجاهدين المسلمين لم يخطر ببالهم أن يدرّسوا إلا باللغة العربية . وقد ساعد التدريس باللغة العربية على تعريب الأمصار من ناحية ، وعلى قيام اللغة العربية لأوّل مرة في التاريخ ، وربّما في تأريخ اللغات ، بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير من ناحية أخرى .

ويلزمنا أن نقرّر أن المجاهدين المسلمين لم يلجأوا لحظّة من اللحظات في سبيل هذه الغاية إلى أي شيء من أساليب الترغيب أو الترهيب التي يلجأ إليها عادة الغزاة الفاتحون .

(١) سورة الأحزاب ٢١ .

(٢) سورة إبراهيم ٤ .

بل إن هذه الشعوب الكريمة التي انتهى إليها الإنقاذ الإسلامي رضيت سعيدة قريرة العين أن تتخلى عن معتقداتها السابقة وحضاراتها وثقافتها ولغاتها وأن تعتنق دين الإسلام وتحتضن لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف منطوقة ومكتوبة، وأن تسهم في بناء الحضارة الإسلامية المجيدة. إن هذه الشعوب الكريمة النبيلة التي فعلت ذلك حباً في الإسلام وأهله هي ذات الشعوب التي رفضت بإباء وشمم زهاء ألف عام قبل الإسلام أن تذوب في الفاتحين من فرس ويونان ورومان. ولماذا نجح المسلمون وفشل غيرهم؟ لأن كل مسلم مجاهد ينظر إلى أخيه الإنسان في ضوء مثل قوله تعالى^(١): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

إن الإنسان أخو الإنسان من جهتين من جهة الرب الواحد، ومن جهة الأب الواحد والأم الواحدة كذلك. إن أبانا آدم عليه السلام، وإن أمنا حواء عليها السلام التي خلقها الله تعالى من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، من شقه الأيسر كما روي عن ابن عباس^(٢). ومن الطبيعي أن يعطف الأخ على أخيه وأن يحرص على أعظم خير أن يصله بالدخول في دين الإسلام، ومن هنا كان كل جندي مسلم داعياً إلى الله تعالى من أجل أن يتحقق معنى قوله تعالى^(٣): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ومعنى قوله تعالى^(٤): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ومعنى قوله تعالى^(٥): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

(١) سورة النساء ١ . (٢) تفسير الطبري ٤ / ١٥٠ . (٣) سورة الحجرات ١٠ .

(٤) سورة التوبة ٢٣ ، والصف ٩ . (٥) سورة الفتح ٢٨ .

وقد عرفنا أن المسلمين إنَّما حقَّقوا هذا النجاح بسبب أخلاق الإسلام العظيمة التي تحلَّى بها المجاهدون في سبيل الله تعالى . ولا يكاد ينتهي العجب حينما نتبين أن هذه الأخلاق العظيمة للمجاهدين المسلمين تجعل من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً للفتح الإسلامي بل قوَّاداً من أعظم القوَّاد الذين عرفتْهم الإنسانية . ومن يجهل القائد المسلم المظفَّر طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين^(١) والذي يرَدِّد العالم كله اسمه مقروناً بالجبل العظيم في جنوب الأندلس «جبل طارق» والمطلَّ على المضيق المسمَّى باسم : «مضيق جبل طارق» الذي يفصل بين المغرب والأندلس .

وإذا كانت أخلاق المسلمين الفاتحين قد جعلت من أبناء البلاد المفتوحة جنوداً يقاتلون في سبيل نشر كلمة التوحيد وقوَّاداً يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى امتثالاً لقوله تعالى^(٢) : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم ﴿ فمن باب الأخرى والأولى ألاَّ ييخل أبناء البلاد المفتوحة على الإسلام الذي اعتنقوه وعلى المسلمين الفاتحين بأسرارهم العلمية والعسكرية .

إن المسلمين الفاتحين ذوي الأخلاق العظيمة والنفوس الكبيرة ملكوا قلوب أصحاب البلاد المفتوحة الذين بادروا بدوافع من ذوات

(١) العسكرية العربية الإسلامية ٦٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١١١ .

أنفسهم إلى الكشف عن أسرارهم العلمية والعسكرية لإخوانهم في العقيدة الفاتحين، وشمروا عن ساعد الجد في سبيل بناء صرح الحضارة الإسلامية المجيدة التي خلقت بجناحين من الروح واللسان. أما الروح فإنها روح الإسلام كما يبينها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ. وأما اللسان فإنه العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم ويين به النبي الكريم أي الذكر الحكيم. ومن أعجب ما يصادفنا في هذا المجال الأخبار المتواترة من أن عناية غير العرب في بعض البيئات باللغة العربية تفوق عناية العرب بلغتهم. وها هو ذا المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يذهب إلى أن أصح العربية يتكلم بها في المشرق، أي في الإقليم اللغوي الفارسي، لأنهم يتكلمونها تكلفاً، ويتعلمونها تلقفاً^(١).

وينبغي أن نشير إلى صفة من أهم الصفات التي جسدها المسلمون الفاتحون في تحويلهم الأخلاق الإسلامية النظرية إلى عمل وواقع وهي أن من أهم ما هتموا به بعد الحرص على القضاء على رذائل البلاد المفتوحة أن يعملوا جاهدين على تفجير طاقات أبنائها وعبقرياتهم. وقد كانت هذه الصفة المترجمة والأخوة الإيمانية والأخوة الإسلامية كما بينها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ من أهم الأسباب التي جعلت الحضارة الإسلامية تقفز درجات سلمها الرفيع قفزاً وتصل إلى قمته الرفيعة السنا والسناء خلال ثمانين سنة فقط^(٢) بينما احتاجت الحضارة الرومانية ألف سنة كي تصل إلى قمته المحدودة الارتفاع بالقياس إلى قمة الحضارة الإسلامية^(٣) هذا إلى أن الحضارة الإسلامية لم

(١) العربية، يوهان فلك ١٩٢، وانظر: ١٦٩.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.

تحتف من الوجود حتى يوم الناس هذا وإن كانت قد تدرجت عن قمتها التي تسّميتها عدة قرون^(١) بينما انهارت الحضارة الرومانية خلال مائة سنة فقط^(٢) وكما كانت الأخوة الإسلامية سبباً في وصول الحضارة الإسلامية قمتها في سرعة البرق كانت سبباً في قيام اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، منطوقة ومكتوبة ، لأول مرة بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير. إن الدولة الإسلامية إذا كانت قد امتدت من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً فإن اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي لغتها ، وإن الكتابة التي حملت القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي الوعاء الذي حمل هذه الحضارة .

ثم أنت - بالتأكيد - على علم بأصح الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع الأمة . إنه صحيح الإمام البخاري ١٩٤ - ٢٥٦ هـ . ٨١٠ - ٨٧٠ م حبر الإسلام^(٣) وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدُزْبَة ، ومعناه بالعربية الزارع ، وكان مجوسياً مات عليها . وابنه المغيرة أسلم على يد اليان البخاري الجعفي والي بخاري . وإنما قيل للبخاري جعفي لأنه مولى يمان الجعفي ولأجل إسلام^(٤) وقد صنف الإمام البخاري كتاب الصحيح لست عشرة سنة وخرّجه من ستمائة ألف حديث^(٥) وجملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة ، وبحذف

(١) الإسلام على مفترق الطرق ٣٧ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ٣٦ .

(٣) الأعلام ٦ / ٣٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ٦٧ / ١ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٦٧ / ١ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٧٤ / ١ .

المكررة نحو أربعة آلاف^(١) واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة (في الحديث) صحيح البخاري ومسلم، واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحاً وأكثرهما فوائد^(٢) وروي عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب عنه فسألت بعض المعبرين فقال: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح^(٣).

ونحن في غنى عن القول إن بخاري، بضم الباء، من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها^(٤) وإنها تقع فيما كان يعرف قبل أيام خلت بالاتحاد السوفيتي.

ثم أنت - بالتأكيد كذلك - على علم بأهم كتب علم النحو في اللغة العربية على الإطلاق. إنه «الكتاب» لإمام النحاة وأول من بسط علم النحو، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه ١٤٨ - ١٨ هـ = ٧٦٥ - ٧٩٦ م^(٥) وهو فارسي الأصل^(٦) ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى: كتاب سيبويه، في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حُبسة. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقاً جميلاً. توفي شاباً^(٧) وهكذا شهد العصر العباسي الأول في نحو الفارسي: سيبويه أول وضع شامل لقواعد العربية، ولم تغر الأجيال المتأخرة شيئاً من أسسه وقواعده، وإن وسعته

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٧٣/١.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٧٤/١.

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي: «بخاري» ٣٥٣/١.

(٥) الأعلام ٨١/٥.

(٦) كتاب سيبويه، المقدمة ٣/١.

(٧) الأعلام ٨١/٥.

توسيعاً مختلف النواحي، أو غيرت من صورته وقوالبه^(١).

وهكذا يتبين أن جامع أهم كتاب في أحاديث المصطفى ﷺ رجل من بخارى، وأن واضع أهم كتاب في نحو اللغة العربية رجل من فارس. وهذان العلمان رمزان لغيرهما من أعلام الإسلام الذين أسهموا مع إخوانهم العرب في بناء الحضارة الإسلامية. وإن هذا التعاون على بناء الحضارة الإسلامية من أكبر الأدلة على الأخوة الإسلامية والأخوة الإيمانية وقدرة الإسلام على تفجير طاقات جميع الكفاءات وعبقرياتها واستقبال الأمة الإسلامية بالترحاب لكل الأعمال التي تبني مجد حضارة الإسلام، وكل ذلك تطبيق عملي لمعنى قوله عز من قائل في كتابه العزيز^(٢): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ كما أن ذلك تطبيق عملي لقوله ﷺ^(٣): «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لَأَدَمٌ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ. أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى».

ولا يتسع المقام لإفادته الحديث في هذه المسألة وربما اتسع لذكر شيء قليل من إسهامات الحضارة الإسلامية في رقي الإنسانية.

ما أكثر الألفاظ العلمية التي اقتبستها الإنسانية من العربية وما أكثر الإنجازات العلمية التي اقتبستها الإنسانية من الحضارة الإسلامية. إن الأرقام العشرية في الحساب لم يعرفها الغرب إلا عن طريق العرب^(٤) فإن المسلمين لما اقتبسوا الأرقام الهندية صقلوها وأضافوا إليها

(١) العربية ٥٠.

(٢) سورة الحجرات آية ١٣.

(٣) نور اليقين ٢٨٢.

(٤) القرآن محاولة لفهم عصري ١٣٩.

الصففر والطريقة العشرية . ومن ثم عرفت هذه الأرقام عند الأوروبيين باسم الأرقام العربية . ولا يزال اسم الصففر عندهم ZERO زيرو محرّفاً عن اسمه فيها^(١) وكلمة أنبيق التي أطلقها جابر بن حيان على جهاز التقطير ما زالت هي ذاتها مستعملة في الفرنسية Ambique ويشق منها الفعل Ambiquer أي يقطر^(٢) ولفظ قناة الذي انتقل إلى لغات العالم كلها عربي ، لأنهم كانوا أول من أجرى القنوات بنظام محكم ، ونقلوا إلى كل بلد دخلوه نظام حفر القنوات التحتية على نظام الكظامات التي كانت معروفة عندهم في بلادهم . وكانت الكظامات تحفر في باطن الأرض لتوصيل مياه العيون بعضها ببعض حتى يمكن حفر آبار بين العين والعين لريّ الأرض . وعرفوا هذه القنوات التحتية باسم المجاري . وبفضل شبكات المجاري العربية نشأت مدن كبرى مثل مراكش ومجريط (مريد) في الجناح الغربي لعالم الإسلام . ومرو ومرو الروذ وهراة وبلخ وما إليها في الجناح الشرقي^(٣) وقد أثبت العلامة جوستاف لوبون نسبة الإبرة (المغنطيسية) إلى العرب في كتابه عن الحضارة العربية^(٤) وهو ماثؤكده هونكة^(٥) .

والمراجع العربية تتحدث عن كروية الأرض كحقيقة مفروغ منها . يقول ابن يوسف المصري (٣٩٩هـ - ١٠٠٩م) ذكر سند بن على في كلام وجدته له أن المأمون أمره هو وخالد بن عبدالمالك أن يقيسا مقدار

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٢٣ ، وانظر : طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥ .

(٢) القرآن محاولة لفهم عصري ١٣٩ .

(٣) الإسلام الفاتح ١٨٧ .

(٤) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠ .

(٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢ .

درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض . وطول محيط الأرض كما قاسه علماء المأمون هو ٤١٢٤٨ كيلومتراً والمعروف أن محيط الأرض هو ٤٠٠٧٠ كيلومتراً . ولذلك يقول نيلنو: قياس العرب لمحيط الأرض هو أول قياس حقيقي أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المهمة من الوقت الطويل والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين في العمل^(١) وحينما أراد روجر الثاني ملك صقلية النورماني في القرن الثاني عشر أن يستوفي معلومات عصره الجغرافية لم يجد من يعتمد عليه في ذلك غير الشريف الإدريسي الذي ولد في سبتة (المغرب) ودرس في قرطبة (الأندلس) وتطايّرت شهرته في بلاد الحضارة الإسلامية والمسيحية . فوضع كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وصنع له الملك كرة فضية - تمثل كرة الأرض - زنتها أربعمئة رطل رومي ليتخذها مثلاً لما يثبت من معالم الكرة الأرضية^(٢) .

وتقول الدكتور هونكة : « إن فضل ابن الهيثم على الفلك يتجلى في اكتشافه أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها ما عدا القمر الذي يستمد نوره من الشمس . وهذه النتيجة التي انتهى إليها ابن الهيثم نقلته إلى فكرة أخرى جديدة أدت إلى ثورة عارمة في علم الفلك ، فقد عارض ابن الهيثم العالمين الإسكندر بن أويقليد وبطليموس فأثبت خطأ نظريتهما^(٣) وقد قال أويقليد وبطليموس إن العين ترسل أشعة بصرية على الأشياء المراد رؤيتها فأعلن ابن الهيثم خطأ

(١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١ ، وأثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٢ .

(٢) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٥٠ .

(٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٢ .

هذا الرأي وقال: إن العين لا ترسل شعاعاً، فإنّ الجسم المرئي هو الذي يرسل أشعة إلى العين، وإن عدسة العين هي التي تحوله إلى صورة^(١) واستطاع ابن الهيثم عمل أول نظارة طبية^(٢) وتوصّل ابن الهيثم تماماً إلى معرفة ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية وأنها خمسة عشر كيلومتراً^(٣).

ويسخر الدكتور عبدالرحمن بدوي من تسمية مدارسنا العربية اللوغاريتيمات ترجمة للفظ اللاتيني ALGVARISMO الذي هو تحريف لاسم الخوارزمي واذع هذه الجداول!^(٤).

وحسب العرب السنة بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية. والفلكيون اليوم يحسبونها بمقدار ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٧ ثانية^(٥).

ويقول الأستاذ كارل ساخاو الذي كان أستاذاً للغات السامية في جامعة فيينا عن البيروني: إنه أعظم العقول التي ظهرت في العالم^(٦).

ويقول توينبي عن مقدمة ابن خلدون بأنها: «بلا شك أعظم مؤلف من نوعه حاول خلقه أي عقل على الإطلاق في أي زمان أو مكان»^(٧).

وكتب الأستاذ جب GIBB في مجموعة تراث الإسلام فصلاً ممتعاً عن أثر العرب في الآداب الأوروبية استشهد فيه بكلمة للأستاذ ماكيل

-
- | | |
|--|--|
| (١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٣ . | (٢) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤ . |
| (٣) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٤ . | (٤) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢٥ . |
| (٥) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٢١ . | (٦) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٢ . |
| (٧) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ٣٣ . | |

MAKAIL من محاضراته على الشعر قال فيها : «إن أوربة مدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية ROMANCE»^(١).

وبشأن الأسوة الحسنة في مجال العلم نستطيع أن نوجز أهم معالم المد الحضاري الإسلامي في القول التالي .

إن المد الإسلامي القائم على شهادة التوحيد ابتداءً هو أكبر موجات الحضارة الإسلامية حجماً وأبعدها مدى ، وقد تعاون على هذا المدّ أو الموجة الجهاد باللسان وباللسان ، وقد عرفنا أن الجهاد باللسان وبال دعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة قد فتح زهاء ثلثي العالم الإسلامي اللذين لم يصلهما جندي مسلم واحد . وفي الإمكان إلقاء نظرة على هذا العالم الإسلامي الممتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى أندونيسيا . وقد اقترن بهذا المدّ أو الموجة مذاهب الفقه الإسلامي ، فعلى سبيل المثال نجد الفقه الشافعي في أندونيسيا والفقه الحنفي في شبه القارة الهندية والفقه الحنبلي في جزيرة العرب والفقه المالكي في أقصى الشمال الأفريقي .

كما اقترن بهذا المدّ أو بهذه الموجة انتشار اللغة العربية منطوقة ومكتوبة ، فقد قامت اللغة العربية في فجر الإسلام بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير ، فقد كان الشخص الذي ينطلق من شرق الدولة في الصين إلى غربها في الأندلس لا يكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ثم إن هذه الدولة الإسلامية التي لا يمكن لأحد أن يقطعها على أسرع جمل في أقل من خمسة أشهر^(٢)

(١) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ٦٥ .

(٢) العرب والإسلام ٥٦ .

قد احتضنت الكتابة العربية الإسلامية التي كتب فيها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجعلت هذه الكتابة وعاءً لنقل نتاج عقولها . وإذا كانت موجة المد الإسلامي المقرونة بالمذهب الفقهي لازالت حتى يوم الناس هذا تواصل بفضل الله تعالى مدّها فإن اللغة العربية المنطوقة أخذت منذ القرن الثالث الهجري^(١) تنحسر بسبب ظهور ما يسمى قديماً بالشعوبية حديثاً بالقومية ، وظهور اللغات التي تنافس اللغة العربية من حيث التأليف ومن حيث النطق بمعنى أن اللغات المحلية أخذت في الظهور ولكن في ثوب إسلامي . وقد ظلت هذه اللغات مشدودة إلى لغة القرآن الكريم برباطين اثنين ، رباط الكتابة فكل الشعوب الإسلامية آنذاك تستعمل كتابة المصحف الشريف والحديث النبوي الشريف كما أن لغة القرآن الكريم هي المعين الذي تستمد منه لغات العالم الإسلامي معجمها لتلبية حاجاتها الدينية والحضارية .

وظل هذان الرباطان يشدان العالم الإسلامي إلى لغة القرآن الكريم شداً . وقد شبه العلماء لغة القرآن الكريم بجذور الشجرة ، واللغة الفارسية بجذع الشجرة ، ولغات العالم الإسلامي ، وفي مقدمتها التركية قديماً ، الأردنية حديثاً ، بأغصان الشجرة .

وقد كانت ثمرة هذا التناغم كبيرة بين عناصر الحضارة الإسلامية والانسجام بين أجزائها وإن تباعدت ، بحيث ظهر العالم الإسلامي في صورة واحدة متناغمة منسجمة رغم اختلاف الألسنة والأجناس والألوان ، لأن عقيدة التوحيد ، روح هذه الحضارة ، هي التي تصبغ

(١) انظر مثلاً : القواعد الأساسية لدراسة الفارسية د . إبراهيم أمين الشواربي هـ .

هذه الحضارة بلونها . «حتى إن الباحثين في الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب والذوق في أنواعها المختلفة . فقطعة من العاج الأندلسي ، وأخرى من النسيج المصري ، وثالثة من الخزف الشامي ، ورابعة من المعادن الإيرانية ، تبدو رغم تنوع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد»^(١) .

وليس بخافٍ على أحد حالة التمزق التي تعيشها الأمة الإسلامية بفعل أعدائها في المقام الأول . إن العالم الإسلامي إذا كان يستعمل الخط العربي الإسلامي الذي كتب فيه القرآن الكريم للمرة الثالثة والأخيرة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين سنة خمس وعشرين هجرية^(٢) فإن عدداً كبيراً من الدول الإسلامية اليوم يستعمل الحروف اللاتينية بدلاً من حروف الخط العثماني . ثم إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم وبالتالي لم تعد النبع الذي تستقي منه لغات العالم الإسلامي التي كانت تستقي ألفاظها من لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . ولا ننسى أن القومية أو الشعوبية قد زاحمت وقتاً من الأوقات الأخوة الإيمانية .

وكما كان حديثنا في القضايا السابقة منطلقاً من إيجابيات السلف الصالح بقصد إن نتأسى به ، فإننا في حديثنا عن : «العمل على إعادة المجد الإسلامي» نودّ أن نتحدث عن أهم مقومات هذا المجد الموجودة ، بفضل الله تعالى ، بين ظهرانينا ، سائلين الله تعالى أن يوفقنا لاستثمار هذه المقومات أحسن استثمار ، وللعمل ، من أجل عودة مجدنا الإسلامي ، على خير وجه ، إنه جلّ وعلا نعم المولى ونعم النصير .

(١) من روائع حضارتنا ٤٧ .

(٢) الإقتان في علوم القرآن ٢٠٩ / ١ .

القسم الثالث
العمل على إعادة
المجد الإسلامي

١- عقيدة واحدة :

حينما ننظر إلى العالم الإسلامي من أقصاه شرقاً إلى أقصاه غرباً نتبين أنه يكاد يكون عالماً موصولاً من أندونيسيا إلى أقصى المغرب العربي . ولعل قائلًا يقول إن هذا العالم تقطعه دولة كبرى في شبه القارة الهندية مثلاً وهي دولة الهند، والجواب على ذلك أن في الهند أكبر أقلية إسلامية في الدنيا إذ يزيد عدد المسلمين في الدولة الهندية على مائة مليون مسلم، هذا إلى أن في شبه القارة الهندية أكبر تجمع إسلامي حينما نجمع أعداد المسلمين في باكستان وبنغلاديش والهند . ومعروف أن عدد المسلمين في العالم يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة .

وسبق أن عرفنا أن العالم حينما ولد محمد بن عبدالله ﷺ فريقان ، أهل كتاب وغير أهل الكتاب . وإذا كان الشرك قد تسرب إلى كل من اليهودية والنصرانية فما الذي يمكن أن يقال وراء ذلك بشأن ديانات غير أهل الكتاب ، إن الشرك حُمِّتْهَا وَسَدَّهَا . وقد جاء بشأن اليهود والنصارى في القرآن الكريم قوله عزّ من قائل^(١) : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ . قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وجاء في سورة المائدة عن النصارى قوله تعالى^(٢) : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقوله تعالى^(٣) : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابْنِي إِسْرَآئِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ .

(٢) سورة المائدة ١٧ .

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٣) سورة المائدة ٧٢ ، ٧٣ .

إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وما من إله إلا إله واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿١﴾ وإذا كانت اليهودية ديانة إقليمية محصورة في أتباع موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وكانت النصرانية ديانة إقليمية في أساسها محصورة في أتباع عيسى عليه السلام من بني إسرائيل، وكان النصراني بعد زهاء ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام قد انحرفوا عن سواء السبيل حتى غدت نصرانية اليوم مغايرة لما جاء به عيسى عليه السلام فإن العقيدة الإسلامية هي الصافية وهي النقية وهي الخالصة. إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم وحده، وقد قال تعالى (١): ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقال تعالى (٢): ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم. وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ أما الكتب السماوية السابقة فقد أوكل الله تعالى مهمة حفظها إلى العلماء الذين خانوا الأمانة وحرفوا الكلم عن مواضعه وغيروا وبدّلوا. وكانت النتيجة أنا لا نعرف مثلاً عن صحف إبراهيم عليه السلام وزبور داود عليه السلام إلا الاسم. أما التوراة التي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام والإنجيل الذي أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فقد تعرض كل منهما لتحريف شديد باعتراف كل من اليهود والنصارى، من صرفٍ للمعنى عن وجهه، ومن حذفٍ وإضافةٍ، وكتبانٍ، وترنمٍ بالمدسوس على الكتاب السماوي ليوهم بأنه منه وما هو منه. وهكذا.

(١) سورة الحجج ٩.

(٢) سورة العنكبوت ٤٩.

ومن البين أن نقاء عقيدة التوحيد في الإسلام إنما تحقق ويتحقق بفضل الله تعالى بسبب حفظ الله تعالى للقرآن الكريم إلى يوم الدين وبسبب تسخير الله تعالى جيشاً من العلماء لخدمة سنة المصطفى ﷺ الميَّنة للقرآن الكريم، وقد قال تعالى^(١): ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وسبق لنا أن أومأنا إلى أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري . وبسبب هذه الخدمة العظيمة للسنة المطهرة الجليلة والذب عنها أمكن معرفة كل صغيرة وكبيرة عن المصطفى ﷺ على وجه الحق ومن ثم تسنى اتخاذه أسوة حسنة لنا نحن المسلمين مصداقاً لقوله عز من قائل^(٢): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ وبما أن سيرة المصطفى ﷺ هي الوحيدة من بين سائر النبيين الكاملة العملية التاريخية وبما أنا لا نكاد نعرف عن موسى عليه السلام سوى النزر اليسير من حياته عليه الصلاة والسلام^(٣) ولا نكاد نعرف عن عيسى عليه السلام سوى بعض ما يتعلق بالخمسين يوماً الأخيرة من حياته عليه الصلاة والسلام^(٤) فقد أمكن اتخاذ محمد بن عبد الله ﷺ أسوة حسنة لكل مسلم . ثم إن الزعم بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله أو الله : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾^(٥) مما يبعد إمكان اتخاذه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لأتباعه عليه الصلاة والسلام .

(٢) سورة الأحزاب ٢١ .

(١) سورة النحل ٤٤ .

(٣) انظر مثلاً: الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) انظر مثلاً: النبي الخاتم ﷺ لأبي الحسن الندوي ١٣ . (٥) سورة الكهف ٥ .

ومن الواضح أن من أهم عوامل بقاء عقيدة التوحيد نقية من كل شائبة الاستمساك بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع ، فعلينا أن نَعَضَّ عليهما بالنواجذ .

وإن من وسائل خدمة القرآن الكريم مسابقات حفظ القرآن الكريم المحلية والعالمية التي انطلقت بفضل الله تعالى من كوالالمبور عاصمة ماليزيا قبل مايزيد على الثلاثين عاماً ، والتي انتشرت في سائر أنحاء الدنيا ، والتي وصلت بفضل الله تعالى إلى مكة المكرمة . فها هي ذي المسابقة العالمية الرابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره تعقدها في مكة المكرمة وزارة الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية في شهر رجب وشعبان عام ١٤١٢ هـ يناير وفبراير عام ١٩٩٢ م والله الحمد والمنة . وإن من أهم مايميز هذه المسابقة الرابعة عشرة في المملكة العربية السعودية اشتراك إخوة لنا في العقيدة جاءوا لأول مرة بعد سبعين عاماً من العزلة التي فرضها الإلحاد عليهم . لقد دمر الله تعالى الإلحاد تدميراً والله الحمد والمنة . وإنه ليطيب لنا أن نختم هذه الكلمات في العقيدة عقيدة التوحيد بسورة الإخلاص : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

٢- أمة واحدة :

أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نكون أمة واحدة وقد قال تعالى^(١) : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى^(٢) : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ وكيف لا تكون هذه الأمة أمة واحدة وهي التي تعبد إلهاً واحداً وتؤمن بكتاب سماوي واحد هو القرآن الكريم ، وتتبع رسولاً واحداً هو محمد بن عبد الله ﷺ وتعتنق ديناً سماوياً واحداً هو دين الإسلام الذي بعث الله سبحانه وتعالى به محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين وإمام المتقين قال تعالى^(٣) : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وقال تعالى^(٤) : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ . وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وقال تعالى^(٥) : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

إن على هذه الأمة المسلمة أن تقدر نعمة الإسلام حق قدرها وأن تقوم بما يجب عليها من شكر لله تعالى على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة وذلك من ناحية بالاستمسك بتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ كما أمر عليه الصلاة والسلام في خطبته العصماء في حجة الوداع ، ومن ناحية أخرى بالعمل على نشر هذا الدين في الخافقين والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة فقد وعد الله تعالى ، ووعدته الحق ،

(١) سورة الأنبياء ٩٢ .

(٢) سورة الإسراء ٩ .

(٣) سورة المائدة ٣ .

(٤) سورة المؤمنون ٥٢ .

(٥) سورة الأحزاب ٤٠ .

بإظهار هذا الدين على الدين كله وبجعل كلمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات العليا . قال تعالى^(١) : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وقال تعالى^(٢) : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ولو كره المشركون ﴾ وقال تعالى^(٣) : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ وقال تعالى^(٤) : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وإن لنا نحن المسلمين أسوة حسنة في المصطفى ﷺ وفي سلفنا الصالح فقد تبينا أن المجاهدين في سبيل الله تعالى بالسيف والسنان كانوا رهبان الليل وفرسان النار، وأن أخلاقهم الحميدة فتحت مغاليق القلوب وفعلت أكثر مما فعلت سيوفهم ولهذا وفقهم الله تعالى ففتحوا زهاء ثلث العالم المسكون آنذاك في زهاء ثلث قرن من الزمان ، وهي سرعة لا نظير لها قبل ولا بعد ، هذا مع عمق الأثر الذي ليس له نظير قبل ولا بعد . وها هي ذي الشعوب التي وصلها الإنقاذ الإسلامي تتخلى قريرة العين عن معتقداتها ولغاتها وثقافتها وحضاراتها وتعتق

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة ٣٣ ، وسورة الصف ٩ .

(٣) سورة الفتح ٢٨ .

(٤) سورة النور ٥٥ .

الإسلام وتسهم بكل إخلاص في بناء صرح حضارته الزاهي السَّناء والسَّناء .

وقد عرفنا أن دين الإسلام الذي رضيهِ الله تعالى لعباده والذي لا يقبل جلّ وعلا من البشر ديناً سواه قد فتح ثلثي العالم الإسلامي بأخلاق دعائه العلماء الحلماء الربانيين . أليست أندونيسيا أكبر دولة إسلامية؟ بلى . وهل انتشر الإسلام فيها إلا بفضل الله تعالى ثم بالأخلاق الفاضلة للدعاة إلى الله تعالى . والحقيقة أننا نتبين في انتشار الإسلام في أندونيسيا في تلك السرعة العجيبة معنى مثل قوله تعالى^(١) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فقد صرف تعالى عن الدعاة إلى الله تعالى أبصار خصومهم الذين شَغِلُوا بحطام الدنيا وتركوا الدعاة إلى الله تعالى وشأنهم . وإليك مايقول في هذا الشأن العلامة الدكتور حسين مؤنس^(٢) : «لقد اشترك في نقل الإسلام حتى الكفار . ومن بين المستشرقين رجلٌ ستحدث عنه نصيح حكومته بترك الإسلام ينتشر حتى يشتغل به الناس ويتركوا التجارة والأموال للهولنديين ، وأخذت الدولة بكلامه . فكانت نصيحة هذا الكافر لدولته سبباً في الإسراع بانتشار الإسلام في أندونيسيا . وانساح الإسلام في أندونيسيا حتى عمها كلها» وقد تحدث عن هذا المستشرق في موضع آخر واسمه سنوك هورجرنيه SNOUCK HURGRONJE^(٣) يقول الدكتور حسين مؤنس^(٤) : «بل نصيح الرجل الحكومة بأن تشجع انتشار الإسلام في

(١) سورة محمد ٧ .

(٢) الإسلام الفاتح ١٦ .

(٣) الإسلام الفاتح ٥١ .

(٤) الإسلام الفاتح ٥١ .

الجزر حتى يزداد المسلمون في الدين غرقاً وينعم الهولنديون بالغرق في المال . فكانت المراكب التجارية الهولندية المقبلة فارغة من أوروبا تأخذ حجاج الاندونيسيين من الشواطئ العربية والهندية بأجرٍ لا يذكر وتنزهم في جدة وينبع . ولم يحاول الهولنديون إدخال الحروف اللاتينية في البلاد لطباعة الكتب الأندونيسية ، بل عملوا على تشجيع استعمال الحروف العربية التي كانت مستعملة للكتابة في البلاد قبل دخولهم . فظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالعربية . وإلى حين قريب كانت في حي الأزهر مطابع تطبع الكتب الملاوية والجاوية والاندونيسية . وكانت القاهرة إذ ذاك مركز الطباعة العربية في العالم» وأود أن أختتم حديثي عن الدعوة إلى الله تعالى بهذا الاقتباس للعلامة أبي الحسن الندوي^(١) : «والدعوة إلى الله هي الناحية الوحيدة التي لاتزال فارغة في خارطة العالم ، لا تشغلها أمةٌ ولا دعوة . فإذا عمرها المسلمون أحسنوا إلى الإنسانية وإلى أنفسهم ، وأمسكوا هذا العالم المتمدن الذي قد كاد يهوى في الهاوية» .

(١) إلى الإسلام من جديد ٢٠ .

٣- كتابة واحدة ولغة علمية واحدة :

لاحظنا بشأن الدولة الإسلامية التي كانت ممتدة من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً أن المسافر فيها لا يكاد يحتاج إلى غير اللغة العربية التي قامت بالدور العالمي بنجاح منقطع النظير في ظل تلك الظروف الصعبة للانتقال والحركة . وبعد أن انحسر مد اللغة العربية المنطوقة ابتداءً من القرن الثالث الهجري ظل العالم الإسلامي مشدوداً إلى لغة الكتاب العزيز برباطين وثيقين دليلاً على وحدة هذه الأمة . وهذان الرباطان هما الكتابة، فقد احتضن العالم الإسلامي كله كتابة المصحف الشريف لكتابة لغاته، واعتبار الكتاب العزيز المصدر الذي تستقي منه اللغات الإسلامية ألفاظها لتلبية الاحتياجات المختلفة ، ومن هنا توزع المعجم العربي في لغات العالم الإسلامي ، بل إن بعض لغات العالم الإسلامي استعارت بحور الشعر العربي لنظم شعرها وأسماء البحور كالفارسية والتركية والأردية ، بل إن لغة كالفارسية استعارت قدراً كبيراً من النحو العربي^(١) .

وما الذي طرأ على هذين الرباطين في عالمنا المعاصر؟

بشأن الكتابة أخذت الكتاب باللاتينية تزاحم كتابة المصحف الشريف فقد حلت الكتابة باللاتينية محل كتابة المصحف الشريف لدى بعض الدول الإسلامية وبذلك قُطع ما بين حاضر تلك الأمة وماضيها

(١) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية ز .

المجيد لأن النشء الجديد على غير علم بكتابة المصحف الشريف . وقد ثبت عدم الصدق في إعادة كتابة التراث بالحروف اللاتينية ، فعلى سبيل المثال لم تُعدّ كتابة واحدٍ في الألف من التراث الإسلامي التركي خلال خمسين سنة من التحول عن الكتابة الإسلامية^(١) .

فما العمل من أجل عودة المسلمين جميعاً إلى الكتابة الإسلامية ، كتابة المصحف الشريف ؟ نشر المصحف الشريف بكل الوسائل ونشر كتابات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه وجمعياته في كل مدينة وقرية وحي وزاوية ، ونشر مسابقات القرآن الكريم على كل المستويات المحلية والعالمية . وإن هذه مناسبة طيبة للتثوية بمسابقات القرآن الكريم العالمية ومنها مسابقة كوالالبور ومكة المكرمة ، وبمجمعات طباعة المصحف الشريف ومنها مجمع الملك فهد حفظه الله لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . لقد أمكن بفضل الله تعالى توزيع زهاء ستين مليون نسخة من هذا المصحف الشريف الذي بلغ بفضل الله تعالى حيث بلغ الليل والنهار^(٢) . وحينما نعلم ان عدد المسلمين في الدنيا يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ندرك ان المسلمين بحاجة إلى أن تتضافر جهودهم من أجل القرآن الكريم طبعاً وتلاوة وتجويداً وتفسيراً . إن هذه مهمة أكبر من أن تطيق تحملها جهة واحدة مهما بلغت إمكانياتها فعلى المسلمين ان يتعاونوا وأن تتكاتف جهودهم من أجل إظهار الأمة المسلمة أمة واحدة حقيقة وشكلاً ، باطناً وظاهراً ، والله ولي التوفيق .

وما الذي طرأ على الظاهرة الأخرى أو الرباط الآخر الذي يشد المسلمين إلى لغة القرآن الكريم شداً وهو اعتبارها المصدر الذي تستقي

(١) انظر مثلاً : الزحف على لغة القرآن ٩١ أحمد عبدالغفور عطار بيروت ١٣٨٥ هـ .

(٢) في أثناء مراجعة تجارب طباعة هذا العمل زاد عدد المصاحف التي تم توزيعها على الثمانين مليون نسخة . والله الحمد والمنة .

منه لغات العالم الإسلامي؟ إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم كما كانت بالنسبة للعالم الإسلامي كله قديماً، بل إن اللغة العربية لم تعد لغة العلم في أكثر البلاد العربية ظناً من بعضهم أنّ اللغة العربية عاجزة عن أن تكون لغة العلم وهي التي قامت قديماً بهذا الدور بنجاح منقطع النظير، هذا إلى أن اللغة العربية أغنى لغات العالم عدد مفردات. فما العمل من أجل عودة المسلمين إلى ماكانوا عليه من اعتبار اللغة العربية مصدر الغناء للغات العالم الإسلامي؟.

العمل ذو شقين. . تعريب التعليم في العالم العربي.

واتفاق المسلمين على اعتبار إحدى اللغات الإسلامية المصدر الذي تستقي منه اللغات الإسلامية مفرداتها. وليس ثمة لغة إسلامية أولى بهذا الدور وأقدر على القيام بهذا الدور من لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي الشريف. خاصة وإن العالم الإسلامي قديماً كان يقوم بهذا العمل، كما أن العالم الإسلامي هو الذي جعل اللغة العربية لغة العلم لأنها لغة الخلود بسبب نزول القرآن الكريم فيها. وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين. والمعروف أن اللغة العربية قامت في بغداد بترجمة التراث العالمي إليها، وأنها قامت في الأندلس بترجمة التراث العالمي منها إلى غيرها من اللغات. وهكذا قامت اللغة العربية بكفاءة عالية بكل الجوانب التي يتألف منها الدور العالمي للغة من اللغات. كفاءة في التعبير وفي الكتابة وفي الاستيعاب إليها والاستيعاب منها.

٤- مكان واحد :

كانت الدولة الإسلامية ممتدة دون انقطاع من الصين إلى حدود فرنسا وفي العصر الحاضر بتألف العالم الإسلامي من الدول العربية وغير العربية ولم يعد كل من العالمين الإسلامي والعربي موصولين كما كانا قديماً. إن دولة الهند مثلاً تفصل بين بنغلاديش وباكستان. أما العالم العربي فإنه يقطع لأول مرة نصفين بفعل دولة العدوان إسرائيل التي غُرسَتْ في صدر العالم العربي وقطعته نصفين فلم يعد العالم العربي موصولاً برأً كما كان من ذي قبل. وليس بخافٍ أن دولة البغي إسرائيل قد قامت في قلب العالمين العربي والإسلامي على أنقاض شعب فلسطين العربي المسلم كما قامت باحتلال القدس الشريف والاستيلاء على المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومصرى محمد بن عبد الله ﷺ الذي أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله. إن هذه النكبة التي حلت بالعالم الإسلامي تذكّر بالحملات الصليبية التي شنّها الصليبيون على العالم الإسلامي وأسّسوا في أثنائها ثلاث ممالك هي مملكة الرُّها بضم الراء وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام^(١) ومملكة أنطاكية، بينها وبين حلب يوم ويلة^(٢) ومملكة القدس وتشمل فلسطين كلها، وهي الدولة الصليبية الأولى، مثل الدولة الصهيونية الموجودة الآن^(٣).

(١) معجم البلدان «الرُّها».

(٢) معجم البلدان «أنطاكية» وأنطاكية هي الاسكندرونة حالياً.

(٣) معارك حول القدس، الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ١٩.

ورفع المسلمون أخيراً راية الجهاد في سبيل الله تعالى ضد الصليبيين . وأول من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى السلطان عماد الدين زنكي (٤٧٨-٥٤١هـ = ١٠٨٥-١١٤٦م) ^(١) الذي أكرمه الله تعالى بعد عشر سنواتٍ فقط من رفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى أن يستعيد منهم ثالث الممالك الصليبية مملكة الرُّها سنة ٥٣٩هـ ^(٢) وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعده ولده الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (عماد الدين) (٥١١-٥٦٩هـ = ١١١٨-١١٧٤م) وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم . وهو أول من بنى داراً للحديث ^(٣) وكانت أغلى أمنيّاته أن يموت شهيداً في الميدان ويبعث جثمانه يوم القيامة من حواصل الطير وبطون السباع في الوديان ^(٤) ومات بعلّة الخوانيق في قلعة دمشق فقيل له الشهيد ^(٥) وحمل راية الجهاد في سبيل الله بعدهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر ^(٦) (٥٣٢-٥٨٩هـ = ١١٣٧-١١٩٣م) ^(٧) الذي انصرف إلى عملين جديّين : أحدهما الإصلاح الداخلي في مصر والشام ، بحيث كان يتردد بين القطرين . والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام . وكان أعظم انتصارٍ له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي يوم حطين الذي تلاه استرداد طبرية وعكّا ويافا إلى ما بعد

(١) الأعلام ٥٠ / ٣ .

(٢) الأعلام ٥٠ / ٣ ، ومعارك حول القدس ٢٣ .

(٣) الأعلام ١٧٠ / ٧ .

(٤) معارك حول القدس ٢٣ .

(٥) الأعلام ١٧٠ / ٧ .

(٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١ .

(٧) الأعلام ٢٢٠ / ٨ .

بيروت . ثم افتتح القدس سنة ٥٨٣ هـ^(١) ولم يدخر لنفسه مالاً ولا عقاراً^(٢) وقد اجتمع تحت لواء صلاح الدين للجهاد أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع قبل . والتهمت شعلة الجهاد والغيرة الإسلامية بعد مدة طويلة واستخدم صلاح الدين للجهاد كل ما وصل إليه العالم الإسلامي من العلم والاختراع وصناعة الحرب يومئذ ، وكل ما أوتي من الذكاء والصبر والتفكير وهزم الصليبيون في حطين عام ٥٨٣ هـزيمة منكرة وكسر شوكتهم وفتح القدس في نفس العام واستولى على فلسطين كلها وانحصر الصليبيون في صور فقط^(٣) .

إن سلفنا الصالح قد بين لنا طبيعة العمل الذي نقوم به في الظروف المشابهة . وبشأن بني إسرائيل جاء قوله عز من قائل في القرآن الكريم في سورة الأعراف^(٤) : ﴿ وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . إِنْ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ومن فضل الله تعالى علينا نحن المسلمين موقعنا المكاني الممتاز في الدنيا هذا إلى وجود أكثر الممرات المائية العسكرية في أثنائه .

(١) الأعلام ٨ / ٢٢٠ .

(٢) الأعلام ٨ / ٢٢٠ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٣١ .

(٤) الآية ١٦٧ .

٥- زيادة مطردة في عدد السكان :

عدد المسلمين في الدنيا يزيد على ألف مليون مسلم ومسلمة ، والله الحمد والمنة ، ومعروف أن كثرة السكان تعني كثرة الأيدي العاملة وليس الأفواه الآكلة ، فقد ثبت أن كثرة السكان من أسباب النمو الاقتصادي بسبب العمل من ناحية والاستهلاك من ناحية أخرى وقد ثبت أن المسلمين أخصب الناس جنسياً والله الحمد والمنة . ومن أهم أسباب هذه الخصوبة العفة التي يمتاز بها المسلمون امتثالاً لأمر الله تعالى في مثل قوله عز من قائل ^(١) : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ . وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ . وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) ولبعض الغربيين مطاردة للمسلمين في هذه الخصوبة ومقارنة بينهم وبين غير المسلمين . فعلى سبيل المثال تبين أن لدى مصر أعلى نسبة مواليد بين كل شعوب العالم الإسلامي ^(٣) ومن أشد

(١) سورة النور ٣٠ - ٣١ .

(٢) درسنا هذا المعنى في كتابنا تأملات في سورة الأحزاب تحت عنوان بين الحقيقة والجمال ٥٤٩ .

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٢ .

الملاحظات طرّافة أن المحللين الغربيين ذهبوا إلى أن عدد سكان مصر سيصل إلى تسعة وأربعين مليوناً عام ٢٠٣٧م^(١) واللطيف في الأمر أن عدد سكان مصر تجاوز هذا الرقم الذي قدره الخبراء قبل نصف قرن من الموعد المحدد!

ولاحظ الخبراء أيضاً أن الأرقام تدل على أن تركيا تضارع مصر وإن لم تصل في هذا المجال إلى درجة التساوي^(٢).

وإليك هذه المقارنات التي ينبغي أن يأخذها المسلمون مأخذ الجد وأن يشكروا لله تعالى نعمه وآلائه.

إن الخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف^(٣).

وفي الجزائر حيث يقطن العنصر الإسلامي بجانب الأوروبي مباشرة تظهر الدراسات أن نسبة الزيادة بينهما مختلفة اختلافاً كبيراً. إذ يفوق إنتاج الخصوبة البشرية لدى المسلمين ما يقابله لدى الأوروبيين أو لدى اليهود الذين يحملون الجنسية الفرنسية بأربع مرات تقريباً. وفي تونس حيث يمثل الإيطاليون غالبية العنصر الأوروبي - وهم أبناء أخصب الأمم الأوروبية - يزيد الإنتاج العربي مرتين ونصف عن الأوروبي^(٤).

وإلى المسلمين هذا الاستنتاج الخطير^(٥): «ولقد دفع الصراع بين القوى الأوروبية العظمى وبين الشعوب الإسلامية - وهو صراع نتج عن

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٤.

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٥.

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦.

(٤) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٦.

(٥) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٧.

اتجاه أوروبا إلى التوسع الاستعماري - إلى ضرورة القيام بدراسات مقارنة في المجال السكاني للوقوف على اتجاه ميزان القوى - من الناحية البشرية - بين الطرفين . وتوصل الباحثون إلى نتيجة تدعو إلى التفكير والتأمل . فقد أثبتوا - بناءً على أرقام توصلوا إليها في عام ١٩٣١م - أن بين كل ١٣ , ٣ من البالغين في أوروبا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة . أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبت الإحصاء الذي جرى في نفس العام أن فيها شاباً تحت الخامسة عشرة بين كل ٣٨ , ١ من البالغين . وطبقاً لهذه النتيجة التي تبين اختلاف نسبة الأطفال إلى البالغين بين أوروبا والعالم الإسلامي أمكن للمرء أن يتنبأ بأن تفوق الإنتاج البشري في المنطقة الإسلامية سوف يؤثر تأثيراً بالغاً على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة» .

وقد لاحظ الباحث أن البلاد الغربية ينقص عدد سكانها باستمرار^(١) وفي المقابل ينقص تفوق أوروبا في التكنولوجيا على الشرق عاماً بعد عام ، لأن الشعوب الإسلامية اتجهت إلى تطوير نفسها وبناء حضارتها بالوسائل الهندسية الأوروبية^(٢) إن في أوروبا وأمريكا الأطفال يقلّون والعجائز يكثر^(٣) وفي فرنسا وبلجيكا والنمسا يقل عدد السكان^(٤) وأما عدد السكان في إنجلترا فهو أيضاً يكاد يكون ثابتاً^(٥) والعجيب كل العجب أن السويد هو البلد الذي قد أبرم الاتفاقية مع حكومة باكستان لمساعدتها على التقليل من عدد سكان باكستان وهو

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩ .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ١٨٩ .

(٣) انظر: حركة تحديد النسل ، لأبي الأعلى المودودي ٢٢ .

(٤) حركة تحديد النسل ٤٦ .

(٥) حركة تحديد النسل ٤٦ .

الذي يعاني من نقص السكان^(١) وفي ذات الوقت الذي يحذر بعضهم من خطر الجذب وقلة القمح تحرق الأرجنتين وأمريكا كميات وافرة من قمحها^(٢) وينبغي على عباد الله تعالى ألا ينسوا أن ٧٠٪ على الأقل من مجموع مساحة الكرة الأرضية غير مزروع، وأن المزروع ١٠٪ فقط هذا إلى أن الزراعة الكثيفة منها زهيدة جداً^(٣) وقد قال تعالى^(٤): ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾.

وينبغي التنبيه إلى أن حركة تحديد النسل إنما يراد بها المسلمون، وينبغي التنبيه إلى أن المسلمين الذين طبقوا حركة تحديد النسل في بعض البلاد قد غدوا أقلية بالقياس إلى غير المسلمين الذين لا يطبقون عملية تحديد النسل. وينبغي ألا ننسى أن دولة كالفلين كانت مسلمة مائة بالمائة وقد انخفض فيها عدد المسلمين اليوم إلى زهاء ٥٪ بل ويراد القضاء على هذه البقية الباقية فعلى المسلمين أن يمثلوا وأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ قال تعالى^(٥): ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم﴾ وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الولود تناسلوا فإنني مباه بكم الأمم يوم القيامة»^(٦).

وعلينا نحن المسلمين أن نُعنى بالشباب عناية بالغة لأنهم إذا كانوا

(١) انظر: حركة تحديد النسل ٦٣.

(٢) حركة تحديد النسل ١١٠.

(٣) حركة تحديد النسل ١١٤.

(٤) سورة هود ٦.

(٥) سورة النور ٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٦.

نصف الحاضر فإنهم كل المستقبل ، وعلينا أن نساعدهم على العفاف والصلاح . جاء في الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال :
يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء^(١) .

وإن من أكبر الأدلة على عناية المصطفى ﷺ بالشباب أنه عليه
الصلاة والسلام قبيل وفاته جهز جيشاً إلى الشام تحت قيادة أسامة بن
زيد وهو شاب في سن العشرين وتحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار
كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي^(٢) .

وها هو ذا صلاح الدين الأيوبي يعني بالشباب عناية بالغة من
جميع النواحي العلمية والصحية والغذائية والسكنية إلخ امتداداً لعنايته
بالأمة كلها حتى إن ابن جبير الأندلسي يقول في رحلته إعجاباً بصلاح
الدين وإكباراً له^(٣) : « فسبحان الذي جعله صلاح دينه كاسمه » .

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٦ .

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر ١٨٥ .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣ ، وانظر : خطوات نحو القدس ٨٥ .

٦- تكامل في المواد الأولية :

منَّ الله سبحانه وتعالى على العالم الإسلامي بموقع جغرافي متميز. وفي هذا العالم كل المواد الخام الضرورية لقيام صناعات على أرفع المستويات. ومن أهم هذه المواد البترول الذي لا نحتاج للحديث عن نسبة الاحتياطي الهائلة منه في العالم الإسلامي وعن أهميته.

ونود أن نشير بإيجاز إلى بعض هذه المواد ومواضعها في العالم الإسلامي علماً بأنَّ الدراسات تكشف عن المزيد من المواضع والله الحمد والمنة.

إن بلاد الملايو، وهي اليوم القاعدة الرئيسية لمملكة ماليزيا بلاد غنية، تنتج المطاط والتوابل والأخشاب الغالية. وفيها أكبر مناجم القصدير في الدنيا، وفيها كذلك بترول كثير^(١).

وصارت مصر أهم مركز للقطن في الشرق الأدنى، ويمتاز قطنها- حتى يومنا هذا- بأنه أجود أنواع القطن في العالم كله^(٢) وأصبح إنتاج القطن مهماً في التجارة العالمية، وانتزع القطن المصري المركز الأول في طول تيلته وجودة نوعيته^(٣) علماً بأن السودان، أكبر الدول الإسلامية في قارة أفريقيا، هو بلد القطن في المستقبل^(٤).

وقد اكتشف أثناء البحث الشامل للجيال الإيرانية معدن الحديد والنحاس، وكانت نوعية النحاس المكتشف جيدة جداً، لدرجة أن

(١) الإسلام الفاتح ٥٧.

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٦.

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٧.

(٤) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٦.

التنقيب والاستخراج يعود على الدولة بفائدة اقتصادية كبرى^(١).

وفي تركيا اكتشف في عام ١٩٣٧ عند DEMIR DOGH سلسلة الجبال الشمالية الشرقية خام الحديد . إذ أثبتت الأبحاث أنه أغنى مناطق الحديد في الكرة الأرضية ، فهو يحتوي على ٦٨٪ حديد خالص . في حين أنه يوجد في العالم كله منطقتان فقط تحتوي المادة الخام المستخرجة منها على ٦٥٪ فقط^(٢).

وبالإضافة إلى وفرة المواد الخام في العالم الإسلامي ، الذي أخذ يصنع هذه المواد الخام مما له أثر كبير على رخص البضائع المصنّعة ، هناك عامل آخر غاية في الأهمية له الأثر ذاته وهو رخص الأيدي العاملة في العالم الإسلامي^(٣).

وإن هذه مناسبة طيبة أن أسجل مدار في هذا المعنى بيننا نحن الحكام في إحدى مسابقات القرآن الكريم العالمية السابقة في كوالالمبور وبين بعض أولي الفكر في هذه البلاد حينما أبدينا إعجابنا بالنهضة الصناعية المباركة في ماليزيا فقبل لنا مامعناه . كنا نتجه إلى الغرب فلم نستفد شيئاً ذا بال ، فاقترح علينا رئيس وزرائنا أن نزور اليابان وأن نسألهم عن سر تفوقهم . وزرنا اليابان وسألنا اليابانيين عن سر تفوقهم فكان الجواب : كنا نحن اليابانيين نتجه إلى الغرب كما تفعلون أنتم اليوم فضعنا على غرار ضياعكم اليوم ، فعدنا إلى أصالتنا ففعلنا ماترون ووصلنا إلى ماوصلنا إليه . وقد أخذ إخواننا الماليزيون بهذه النصيحة . يقول محمد أسد^(٤) : إن ما يحتاج إليه العالم الإسلامي تجهيز علمي فني

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ٢١٢ .

(٢) الإسلام قوة الغد العالمية ٢١٠ .

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية ٢٠٨ .

(٤) الإسلام على مفترق الطرق ٧٤ .

عصري . ويقول في كتاب الطريق إلى مكة^(١) : «إن كل تقليد ثقافي بخلاف الخلق والإبداع لابد أن يحقر الأمة ويقلل من شأنها» .

وعن تركيا التي حملت لواء الإسلام خمسة قرون ونصف القرن^(٢) يقول العلامة أبو الحسن الندوي^(٣) عنها بعد ابتعادها - وللأسف - عن تعاليم الإسلام وإلقاء نفسها في حضن الغرب : «إنما كان دورها دور الاستيراد ودور الاستعارة ودور التطبيق ، لا أقل ولا أكثر ، ولم ينبغ فيها في هذه الفترة نابغة في العلوم التطبيقية ، ولا عملاق في العلوم والآداب ، ولا مؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر والفلسفة ، ولا من يمد هذه الحضارة بشيء أصيل له قيمته العلمية . ولذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على هامش الشعوب الأوروبية . ولم يكن هذا قيمة ماضى به هذا الشعب من السطوة السياسية ، والحماسة الدينية ، والدوافع الخلقية ، والزعامة في العالم الإسلامي» . وإليك مايقوله أحد المفكرين الإنجليز محذراً من اليقظة الإسلامية ومن تعويض الشرق الإسلامي مفاته في مجال التصنيع^(٤) : «لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً ، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب ، بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه . من الممكن أن يعارض المرء هذا الرأي بأن الإسلام فقد سيطرته على بعض الأشياء المادية وخاصة مايتصل بالحرب فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجي الحديث . لا

(١) نقلاً عن : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٢٠٩ وأصبح اسم الكتاب فيما بعد الطريق إلى الإسلام ، انظر : من نهر كابل إلى نهر البرموك لأبي الحسن الندوي ١٥٤ .

(٢) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون أنور الجندي ١٧ .

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ٤٧ .

(٤) نقلاً عن : الإسلام قوة الغد العالمية ٣٢٣ ، وانظر : ٧ .

أستطيع أن أدرك لماذا لم يعوض الشرق الإسلامي مافاته في هذا الميدان؟ فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة إلى طبيعة عقلية خاصة، بل يتطلب الإلمام بها والتفوق فيها إلى الخبرة وتوجيه الخبراء. ومن الأمور المؤكدة أنه غالباً ما يحدث أن تكون حضارة أخرى وذات منزلة عالية في التقدم التكنولوجي أقل درجة من حضارة لم يبلغ بعد تطورها في هذا المجال مابلغته الأولى. إذاً فهناك احتمال كبير أن يصبح شعب ظهر حتى الآن أن مواهبه في الناحية التكنولوجية ضعيفة، في المستقبل سيداً على شعب آخر استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره - فلم ينقذه أحد - وتحكمت في سلوكه النظريات التي تسلب الإنسان الإحساس بالطبيعة. لماذا لا يتعلم العالم الإسلامي ما تعلمناه في مجال التكنولوجيا؟ وفي مقابل هذا سيكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية - وهو من العوامل الأساسية لوحدة أوروبية - التي فقدتها المسيحية، بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها.

ويقول باول شمتز مؤلف كتاب: الإسلام قوة الغد العالمية^(١): «وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها، وستقبل موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية»

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ٣٢٢ .

الخاتمة

في الصفحات السابقة جمعنا تحت عنوان : تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام ، بين بحثين تم إلقاؤهما في الندوة العالمية عن القرآن الكريم والمنعقدة في أثناء المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم بكوئالالمبور عاصمة ماليزيا عامي ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م و ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م . وقد ظهرت الدراسة بصورتها الأخيرة في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويتحدث عن مقومات النجاح والفلاح في نظر القرآن الكريم الذي تبيّنه سنة المصطفى ﷺ . وهذه المقومات مستفادة من الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة المدنية .

القسم الثاني : ويتحدث عن المجد الإسلامي فيلقي نظرة على أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام ويشير إلى مقومات المجد الإسلامي وهي الجهاد في سبيل الله تعالى والأسوة الحسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى والعلم .

القسم الثالث : ويتحدث عن العمل على إعادة المجد الإسلامي ويشير إلى ميادين هذا العمل وهي العقيدة الواحدة ، والأمة الواحدة ، والكتابة الواحدة ، واللغة العلمية الواحدة ، والمكان الواحد ، والزيادة المطردة في عدد السكان ، والتكامل في المواد الأولية .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ، ويتقبله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وألاّ يحرمننا من الأجر ، وأن يعفو عما بدر منا من تقصير إنه جواد كريم .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
والحمد لله رب العالمين .

فهرست
المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن تيمية : (أحمد بن عبدالحليم) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد. بيروت. لبنان ١٩٧٦م - ١٣٩٦هـ. الرسالة التدمرية القاهرة ١٣٨٧هـ نشرها: قصي محب الدين الخطيب .
- ٣- ابن جبير (أبوالحسين محمد بن أحمد) رحلة ابن جبير. دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٤- ابن حنبل : (الامام أحمد بن حنبل) المسند: شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، الطبعة الرابعة مصورة عن طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- ٥- ابن القيم : (شمس الدين محمد بن أبي بكر) التفسير القيم . جمعه محمد أويس الندوي . حققه محمد حامد الفقي . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . مكة المكرمة . مؤسسة مكة للطباعة والنشر . من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ رقم (٢) .
- ٦- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم . دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م . الفصول في سيرة الرسول ﷺ . تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي محي الدين متو . الطبعة الثالثة ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ سوريا .

- ٧- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا. إبراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي. تصوير بيروت ١٩٨٥ م.
- ٨- أبوحيان: (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان) البحر المحيط. تصوير بيروت.
- ٩- أسد (محمد) الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة د. عمر فروخ الطبعة السابعة ١٩٧١ م.
- ١٠- الأصفهاني: (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني) المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان. بدون تاريخ.
- ١١- باجودة (حسن محمد) تأملات في سورة الأحزاب. مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ دحض بعض افتراءات دائرة المعارف اليهودية. من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م. تأملات في سورة الفرقان القاهرة ١٩٧٧ م.
- ١٢- البخاري: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨ هـ.
- ١٣- النبأ (حسن) السلام في الإسلام. الطبعة الثانية جدة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.
- ١٤- الجندي: (أنور) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون. القاهرة ١٩٧٦ م.
- ١٥- خان (ضياء الدين بن إيشان باباخان) الإسلام والمسلمون في

- البلاد السوفيتية . طاشقند الاتحاد السوفيتي ١٤٠٠هـ .
- ١٦- الخصري : (محمد) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين . الطبعة الثانية . دار المعارف للطباعة بدون تاريخ .
- ١٧- خطّاب (محمود شيت) العسكرية العربية الإسلامية . الدوحة قطر ١٤٠٣هـ .
- ١٨- الرئيس : (د. محمد ضياء الدين) معارك حول القدس . مجمع البحوث الإسلامية . رجب ١٣٩٢هـ أغسطس ١٩٧٢م .
- ١٩- الزركلي : (خير الدين) الأعلام . الطبعة الخامسة . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٠م .
- ٢٠- سابق : (السيد) فقه السنة ، الطبعة الأولى . بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٢١- السباعي : (د. مصطفى) السيرة النبوية . دروس وعبر . دمشق وبيروت . توزيع المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية . الدوحة . قطر . ١٤٠٠هـ من روائع حضارتنا . دمشق وبيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
- ٢٢- سبيويه (أوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر) كتاب سبيويه . تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
- ٢٣- السيوطي : (جلال الدين عبدالرحمن) الإتقان في علوم القرآن . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م . تفسير الجلالين .

- ٢٤- شمتز (باول) الإسلام قوة الغد العالمية . ترجمة الدكتور محمد شامة . القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٢٥- الشواربي : (د . إبراهيم أمين) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٢٦- الطبري : (أبوجعفر محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن . الطبعة الأولى . بولاق ١٣٢٩ هـ .
- ٢٧- عبد الباقي (محمد فؤاد) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- ٢٨- عطار : (أحمد عبدالغفور) الزحف على لغة القرآن . بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م .
- ٢٩- العقاد : (عباس محمود) أثر العرب في الحضارة الأوروبية . الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م .
- ٣٠- الغامدي : (د . على محمد عودة) المجاهد المسلم كمشتكين ابن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ . الطائف . المملكة العربية السعودية .
- ٣١- فك : (يوهان) العربية . ترجمة د . عبد الحليم النجار . القاهرة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .
- ٣٢- القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن دار الشعب ، القاهرة . بدون تاريخ .
- ٣٣- كامل : (د . عبدالعزيز) الإسلام والمستقبل اقرأ ٤٠١ دار المعارف بمصر ١٩٧٥ م . خطوات نحو القدس . اقرأ ٣٩٤ دار

المعارف بمصر ١٩٧٥ م.

٣٤- كشك : (محمد جلال) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية . الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م القاهرة .

٣٥- مؤنس : (د. حسين) الإسلام الفاتح . العدد الرابع من سلسلة دعوة الحق التي تصدرها شهرياً رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة . السيرة النبوية الشريفة . الدوحة ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٦- محمود : (د. عبدالحليم) أوروبا والإسلام . القاهرة ١٩٧٣ م .

٣٧- محمود : (مصطفى) القرآن محاولة لفهم عصري . الطبعة الثانية . بيروت ١٩٧٠ م .

٣٨- مسلم : (الإمام أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري) كتاب الصحيح بشرح النووي . القاهرة . بدون تاريخ .

٣٩- المنهل : (مجلة) العدد ٤٩٤ شعبان ١٤١٢ هـ فبراير ١٩٩٢ م .

٤٠- المودودي : (أبو الأعلى) الإسلام اليوم . القاهرة ١٩٧٥ م . حركة تحديد النسل . بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، شهادة الحق . دار الفكر . بدون تاريخ . مبادئ الإسلام . القاهرة ١٩٧٧ م . نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور . بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٤١- الندوي : (أبو الحسن) إلى الإسلام من جديد . الطبعة

- الرابعة القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م السيرة النبوية . الطبعة الأولى .
 جدة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة
 الغربية . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م العرب
 والإسلام . مكة المكرمة الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ماذا
 خسر العالم بانحطاط المسلمين . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٥٩ م
 ١٣٧٩ هـ . من نهر كابل إلى نهر اليرموك . بيروت الطبعة الثانية
 ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م . النبي الخاتم ﷺ . القاهرة ١٩٧٥ م .
- ٤٢- الندوي : (السيد سليمان) الرسالة المحمدية . الطبعة
 الثالثة . دمشق . ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٤٣- النووي : (أبوزكريا محي الدين يحيى بن شرف) تهذيب
 الأسماء واللغات . تصوير بيروت . بدون تاريخ . رياض
 الصالحين . تصوير بيروت . بدون تاريخ .
- ٤٤- النيسابوري : (أبو الحسن علي بن أحمد) الواحدي . أسباب
 النزول . تحقيق السيد أحمد صقر . الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ -
 ١٩٨٧ م دار القبلة للثقافة الإسلامية . جدة . مؤسسة علوم
 القرآن . سوريا ، دمشق . بيروت .
- ٤٥- ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله بن
 عبد الله الحموي) معجم البلدان . بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧
تمهيد	٩

القسم الأول

مقومات النجاح والفلاح	١٥-٤٠
١- الاهتداء بنور القرآن الكريم	١٩
٢- الإيمان بالغيب	٢٤
٣- إقام الصلاة	٢٧
٤- الإنفاق مما رزق الله تعالى عباده	٣٢
٥- الإيمان بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة	٣٥
٦- الإيقان بالآخرة	٣٩

القسم الثاني

المجد الإسلامي	٤١-٦٥
١- أحوال البلاد والعباد قبل الإسلام	٤٣
٢- جهاد في سبيل الله تعالى	٤٨
٣- أسوة حسنة في الأخلاق والدعوة إلى الله تعالى	٥٤
٤- أسوة حسنة في مجال العلم	٦٧
	١٢٣

القسم الثالث

العمل على إعادة المجد الإسلامي	٨٣-١١١
١- عقيدة واحدة	٨٥
٢- أمة واحدة	٨٩
٣- كتابة واحدة ولغة علمية واحدة	٩٣
٤- مكان واحد	٩٦
٥- زيادة مطردة في عدد السكان	٩٩
٦- تكامل في المواد الأولية	١٠٤
خاتمة	١٠٩-١١١
فهرست المصادر والمراجع	١١٣-١٢٠
فهرست الموضوعات	١٢١-١٢٤

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ----- الدكتور حسن باجودة
- ٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣ - الرسول في كتابات المستشرقين ----- الأستاذ نعيم حمدا
- ٤ - الاسلام الفاتح ----- الدكتور جمال مؤنس
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ----- الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن ----- الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية ----- الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ----- الدكتور أحمد السيد دراج
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج ----- الأستاذ عبد الله يوقس
- ١٠ - الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ----- الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم ----- د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل ----- الأستاذ محمد طاهر حكيم
- ١٣ - مولود على الفطرة ----- الأستاذ حسين أحمد حسون
- ١٤ - دور المسجد في الاسلام ----- الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ----- الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ - البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ----- الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ----- د. محمد الطنائق عفيفي
- ١٨ - القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ----- د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الاسلامية ----- الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ----- الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ - حقيقة الاقسان بين القرآن وتصور العلوم ----- الدكتور أبو الفريد العجمي
- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ----- الأستاذ سعد عبد المجيد بكر
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ----- الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة ----- مهدي عبد الحميد حمودة
- ٢٦ - تربية النفس في الإسلام ----- الدكتور محمد محمود عمارة
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ----- د. محمد شوقي الفنجري
- ٢٨ - وحي الله ----- د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩ - حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----- د. محمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ----- الأستاذ محمد عمر القصار

- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣٢- الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ----- الدكتور السيد رزق الطويل
- ٣٣- الإعلام في المجتمع الاسلامي ----- الأستاذ حامد عبد الواحد
- ٣٤- الالتزام الديني منهج وسط ----- عبد الرحمن حسن بينكة للميداني
- ٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي ----- الدكتور حسن الشرقاوي
- ٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية ----- د. محمد الصديق عفيفي
- ٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية ----- اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
- ٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ----- الدكتور محمود محمد بابلي
- ٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ----- الدكتور عبد الله محمد نصر
- ٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين ----- د. محمد رفعت العوضي
- ٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام ----- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
- ٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٤٥- الطريق إلى النصر ----- الأستاذ محمد عبد الله فودة
- ٤٦- الاسلام دعوة حق ----- الدكتور السيد رزق الطويل
- ٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية ----- د. محمد عبد الله الشرقاوي
- ٤٨- دحض مفتريات ----- د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
- ٤٩- المجاهدون في فطان ----- الأستاذ محمد ضياء شهاب
- ٥٠- معجزة خلق الانسان ----- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
- ٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية ----- د. سيد عبد الحميد مرسى
- ٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي ----- الأستاذ أنسور الجندي
- ٥٣- الشورى سلوك والتزام ----- الدكتور محمود محمد بابلي
- ٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ----- أسماء عمر فدعق
- ٥٥- مدخل إلى فهم الأمة ----- الدكتور أحمد محمد الخراط
- ٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٥٧- كيف تكون الشيخ عبد الرحمن خلف
- ٥٨- الزواج بغير المسلمين ----- الشيخ حسن خالد
- ٥٩- نظرات في قصص القرآن ----- محمد طيب عبد العال
- ٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات ----- الدكتور السيد رزق الطويل

- ٦١- بين علم آدم والعلم الحديث ----- الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
- ٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان ----- د. محمد الصادق عفيفي
- ٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] ----- الدكتور راجي العوضي
- ٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ----- الأستاذ عبد الرحمن حسن حبيكة
- ٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] ----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة ----- الأستاذ عبد القفور عطار
- ٦٧- العدل والتسامح الاسلامي ----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية ----- محمد رجا حنفي عبد المتجلي
- ٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس ----- د. نبيه عبد الوهّاب عثمان
- ٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية ----- الدكتور شوقي بشير
- ٧٢- الاسلام وغزو الفضاء ----- الشيخ محمد سويد
- ٧٣- تأملات قرآنية ----- الدكتورة عصمة الدين كركر
- ٧٤- الماسونية سرطان الأمم ----- الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
- ٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام ----- الأستاذ سعد صادق محمد
- ٧٦- استخلاف آدم عليه السلام ----- الدكتور علي محمد نصر
- ٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢] ----- محمد قطب عبد العال
- ٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢] ----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٧٩- كيف ندرس القرآن لأبنائنا ----- الأستاذ سراج محمد وزان
- ٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ ----- الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٨١- كيف بدأ الخلق ----- الأستاذ عيسى العريباوي
- ٨٢- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين ----- الأستاذ صالح محمد جمال
- ٨٤- المبادئ الاجتماعية في الاسلام ----- محمد رجا حنفي عبد المتجلي
- ٨٥- التأميم الشيوعي في ليبيا على الاسلام ----- إبراهيم حمدان علي
- ٨٦- الحقوق السياسية للمرأة المسلمة ----- الدكتور محمد سعيد
- ٨٧- من حقوق الانسان ----- الأستاذ محمد حسن العماري
- ٨٨- نور من التوراة على طريق الدعوة ----- محمد الحسين أبو سم
- ٨٩- أسلوب حياة المسلم في الاسلام ----- عثمان غانم الزهراني
- ٩٠- القضاء في الاسلام ----- عثمان محمد العيضي

- ٩١ - دولة الباطل في فلسطين ----- الشيخ القاضي محمد سويد
- ٩٢ - المنظور الاسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل ----- د. حلمي عبد المتعم جابر
- ٩٣ - التهجير الصيني في تركستان الشرقية ----- رحمة الله رحمة الله
- ٩٤ - الفطرة وقيمة العمل في الاسلام ----- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- ٩٥ - أوصيكم بالشباب خيراً ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٩٦ - المسلمون في دوائر النسيان ----- أسماء أبو بكر محمد
- ٩٧ - من خصائص الاعلام الاسلامي ----- محمد خير رمضان يوسف
- ٩٨ - الحرية الاقتصادية في الاسلام ----- د. محمود محمد بابلي
- ٩٩ - من جماليات التصوير في القرآن الكريم ----- الأستاذ محمد قطب عبد العال
- ١٠٠ - مواقف من سيرة الرسول ----- الأستاذ مصطفى الأمين
- ١٠١ - اللسان العربي بين الانحسار والانتشار ----- الأستاذ محمد حسين خلاف
- ١٠٢ - اخطار حول الاسلام ----- الأستاذ هاشم عقيل عزوز
- ١٠٣ - صلاة الجماعة ----- د. عبد الله محمد سعيد
- ١٠٤ - المستشرقون والقرآن ----- د. اسماعيل مهالم عبد العال
- ١٠٥ - مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية ----- الأستاذ ثور الجندي
- ١٠٦ - الاقتصاد الاسلامي هو البديل ----- د. شوقي احمد منفا
- ١٠٧ - توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ ----- عبد المجيد احمد منصور
- ١٠٨ - المخدرات مضارها على الدين والدنيا ----- الدكتور ياسين الخطيب
- ١٠٩ - في ظلال سيرة الرسول ﷺ ----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ١١٠ - أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ----- محمود محمد كمال عبد المطلب
- ١١١ - زينة المرأة بين الاباحة والتحريم ----- د. حياة محمد علي عثمان خفاجي
- ١١٢ - التربية الاسلامية كيف نرغبها لأبنائنا ----- د. سراج محمد عبد العزيز وزان
- ١١٣ - النموذج العصري للجهاد الافغاني ----- د. عبد رب الرسول سياف
- ١١٤ - المسلمون تحت ذو شجون ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١١٥ - الترف والترف المجهل في خلال القرآن الكريم ----- د. عبد الله العمار
- ١١٦ - المسلمون في التاريخ والتراث ----- د. محمد بن جعفر علي آل فايز
- ١١٧ - آثار التصوف في تطوير على الشريعة الإسلامية ----- د. محمد بن علي القولي تيممة
- ١١٨ - اللباس في الاسلام ----- د. محمد المهددي
- ١١٩ - أسس النظام المالي الاسلامي ----- د. محمد أبو الليث
- ١٢٠ - المستشرقون والقوانين ----- د. اسماعيل سالم عبد العال

نبذة عن المؤلف



د. حسن محمد باجودة

- أ. د. حسن محمد باجودة .
- ولد بمدينة الطائف عام ١٣٦٠هـ وحصل على شهادة آداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية بمرتبة الشرف عام ١٣٨٢هـ والدكتوراة من جامعة لندن عام ١٣٨٨هـ والأستاذية عام ١٤٠٠هـ وقد جمعت رسالة الدكتوراه شعر ما يزيد على مائة وخمسين شاعراً وشاعرة من أهل المدينة المنورة من العصر الجاهلي إلى نهاية عصر بني أمية من غير ذوي الدواوين المخطوطة .
- أستاذ الدراسات القرآنية البيانية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ورئيس لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم العالمية بالمملكة العربية السعودية ، وعضو المجلس الأعلى للمساجد ، ورئيس لجنة فحص الرسائل العلمية التي تكتب في جامعة أم القرى عن المملكة العربية السعودية .
- حصل على جائزة البحث العلمي من جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٤هـ وأشرف على أولى رسائل الدكتوراه في اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية وافتتحت رابطة العالم الإسلامي سلسلة (دعوة الحق) بمؤلفه : (تأملات في سورة الفاتحة) . وترجم كتابه (الوحدة الموضوعية في سورة يوسف) إلى اللغة الإنجليزية وطبع عام ١٤١٢هـ .
- المشروع العلمي الذي بدأه في مطلع عام ١٣٩٢هـ وموضوعه : (تأملات في كتاب الله تعالى) ، شمل حتى اليوم أكثر من ثلث القرآن الكريم ، وغطى أكثر من ثمانية آلاف صفحة . والسرور التي تمت دراستها هي على التوالي : يوسف ، مريم ، يس ، الإسراء ، الفرقان ، العاديات ، النازعات ، الحاقة ، الرعد ، محمد ﷺ ، الفاتحة ، الأحزاب ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف . أما مشروع التفسير البسيط الذي يسائر المسابقة العالمية للقرآن الكريم في المملكة العربية السعودية فقد طبع منه أحد عشر جزءاً وكتب تفسير الجزء الثاني عشر .
- من أعماله : ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول ﷺ ، ومن مطبوعات رابطة العالم الإسلامي (دحض بعض افتراءات دائرة المعارف اليهودية) ، و (أجوبة على أسئلة) بفضل الله تعالى تجاوزت المؤلفات والبحوث التسعين مؤلفاً وبحثاً .